

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

التشبيه في القرآن الكريم "دراسة أسلوبية"

سلامه جمعه عطا العجالين

رسالة

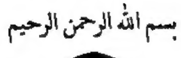
مقدمة إلى

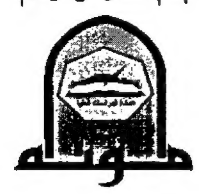
عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2004م





MUTAH UNIVERSITY
Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم(13)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب سلامة جمعة العجالين والموسومة بـــ:

" التشبيه في القرآن الكريم: دراسة اسلوبية "

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

القسم: اللغة العربية وآدابها.

	التوقيع	التاريخ	
أ.د. زهير المنصور		2005/1/5	مشرفاً ورئيسا
أ.د. عبد القادر مرعي		2005/1/5	عضواً
د. نايل ابو زيد		2005/1/5	عضواً
د. يوسف القماز		2005/1/5	عضواً

عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين



MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهــداء

إلى من غرس في نفسي حب العلم والخير ، إلى والدي الحبيــب ، إلــى مــن سقتني الصبر، وعلمتني الوفاء والإخلاص في القول والعمل إلى أمي الحنون ، إلــى زوجتي (أم زيد) التي سهرت ليلها، وبذلت كل ما في وسعها، في سبيل إنجــاز هــذا البحث ، إلى من وقفوا معي دائماً وأناروا بنصحهم وتشجيعهم دربي (عبــد، حســني، حسن) ، إلى من ساروا معي على نفس الدرب ومنحوني الدفء والحنــان، أخــواتي وإخوتي ، إلى ولديّ زيد وشذى.

سلامة العجالين

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور زهير المنصور، الذي كان له الفضل الكبير في إخراج هذا العمل إلى حيّز الوجود، وكان له الأثر في توجيهي الوجهة العلمية الموضوعية، وكان نعم المشرف.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الأفاضل الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي، والدكتور يوسف القماز، والدكتور نايل أبو زيد، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة

وأتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي الأفاضل في قسم اللغة العربية في جامعة مؤتة والتي تعد منبراً للعلم والحضارة.

سلامة العجالين

فهرس المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
الفصل الثالث: مضامين التشبيه.	**74**
1.3 الإنسان في تشبيهات القرآن الكريم.	74
2.3 النبات في تشبيهات القرآن الكريم.	90
3.3 الحيوان في تشبيهات القرآن الكريم.	93
4.3 الطبيعة في التشبيهات القرآنية	97
الفصل الرابع: ظواهر أسلوبية في التشبيه.	**102**
1.4 الأسلوبية في الإطار النظري.	102
1.1.4 الأسلوب والأسلوبية.	102
2.4 ظواهر أسلوبية في التشبيه.	106
1.2.4 الحذف.	106
2.2.4 الاستفهام الإنكاري.	110
3.2.4 بلاغة العطف في التشبيه.	111
4.2.4 إيقاع التشبيه.	114
5.2.4 المبالغة في التشبيه.	116
6.2.4 تكرار التشبيه.	118
7.2.4 التشبيه المصدري.	121
الخاتمة.	123
المراجع.	125

قائمة الاشكال

الملخص

التشبيه في القرآن الكريم دراسة أسلوبية

سلامة جمعة العجالين

جامعة مؤتة، 2005

تناولت هذه الدراسة التشبيه في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، من حيث التشبيه عند اللغويين والأدباء والنقاد والبلاغيين، وأقسام التشبيه في القرآن، ومضامين التشبيه، ودراسة بعض الظواهر الأسلوبية في التشبيه. وغايتها إبراز الأسلوب القرآني المعجز في كتاب الله عزّ وجل، وقد جعلت اهتمامها منصباً على بيان الهدف من التشبيه في الآيات القرآنية وخصائصه.

وقد استخدمت المنهج التكاملي للوصول إلى غايتها، فوجدت أن التشبيه يحتل المرتبة الأولى ضمن الفنون البيانية التي اهتم علماء البلاغة بدراستها في القرآن الكريم، وقد تميّزت أساليبه بأنها تشكل صورة جديدة في تأدية الأغراض الدينية، وكل تشبيه يتحرك ضمن نظام وهدف معين، وهذا يدل على قدرة الإعجاز القرآني، إعجاز في ذكر الأداة ووجه الشبه أو حذفها، وإعجاز في مضامين التشبيه، وإعجاز في كلام الله المقروء.

كما بينت الدراسة أن هناك قيماً أسلوبية تبرز واضحة من التشبيه في القرآن الكريم، وهذه القيم تمنح الأسلوب الأدبي جمالاً ونبضاً، وقوةً.حيث جاءت هذه القيم في القرآن الكريم وخاصة في أسلوب التشبيه، لغايات بلاغية تعرف من السياق وتدرك بالذوق البلاغي، ومنها على سبيل المثال: العطف، والاستفهام الإنكاري... فهي تنال درجة عالية من التكثيف والإيماء،بحيث يثير التشبيه فاعلية التفكير.

Abstract

The Extended simile in Holy Quran – A stylistic study

Salameh Joma'ah Alajaleen

Muta'a University – 2005

This study has tackled the issue of using the extended simile in Holy Quran (a stylistic study) from the aspects of using the extended simile linguists, men of literature and critics. In addition to the kinds of the extended simile in Quran,the significance of using the extended simile, and studying some of the stylistic aspects of the extended simile to demonstrate the inimitable style of the Holy Quran.

Each extended simile represents a certain system and objective and this indicates that Quran is inimitable, as Quran is miraculous in mentioning the instrument, and the point of resemblance or deleting it, and is miraculous in the comparison's contents.

The study also reveals that there are stylistic values which are so clear in Quranic comparison, and these values grant beauty and strength to the literary style. Since these values are used in Holy Quran especially in the method of comparison for rhetorical objective which are known in the context, and are perceived by the rhetorical taste. For example, syndesis, denial interrogation. In comparison using these instruments increases the efficiency of thinking.

الفصل الأول

التشبيه عند القدماء

1.1 المقدمـــة

لقد تنوعت الدراسات القرآنية، وسارت في مسارات عدّة، مــن أهمهــا تلــك الدراسات التي ركزت على البلاغة والأساليب وطرائق التعبير، وقد دارت دراسات مستفيضة حول علم البيان في القرآن الكريم، سعياً لفك أســرار الإعجــاز البيــان القرآني، وبه كان التحدي للعرب قديماً فعجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، ومازال هذا التحدي إلى يوم الدين. وفي هذا الإطار أحببت أن أشارك فــي الكشــف عــن جانب من أهم جوانب البلاغة في القرآن الكــريم، وهــو التشــبيه الــذي اخترتــه موضوعاً لدراستي بعنوان (التشبيه في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية).

اخترت التشبيه في القرآن الكريم لما له من قيمة فنية، وآثار أســلوبية، فهــو يوقظ الخيال، وينير الفكر، ويؤنس النفس، ويلون الأسلوب.

وكذلك لكثرته في أشعار العرب، وبلاغته في القرآن الكــريم. وقــد أُلفــت دراسات مستفيضة حوله، وفي مراحل مختلفة، وقد تحدّث العلماء في القديم عن هذا اللون من البيان،وكان للتشبيه بوصفه أحد فروع علــم البيــان حصتــه مــن هــذه الدراسات. كما أن آراءهم حول هذا اللون،جاءت منتشرة في أثناء كتبهم ولا تُوجَــد إلا بالتأمل الطويل ،والتصفح الكثير ، الأمر الذي يدفع بالقارئ إلى الملل والتــذمر، عندما يتصفح مثل هذه الكتب والمصنفات.

كل هذا وغيره من عوامل شجعتني إلى اختيار الموضوع، فضلاً على، أنه لم يقع الباحث على دراسة وافية لدراسة التشبيه في القرآن، دراســة أســلوبية، حتــى أصبح محتّماً أن يتجه البحث في البلاغة القديمة على نحو يربطها بالبحث الأسلوبي الحديث، والإفادة في ذلك بكل الإمكانات الأسلوبية التي وجدت بشكل أو بآخر داخل مباحث البلاغة، باعتبارها طاقات لغوية داخل نسيج التعبير البيــاني فــي القــرآن الكريم.

بيْد أنه لا يستطيع الباحث أن يقول: إن هذا الموضوع من الموضوعات التــي لم يسبق إليها أحد، ولكن الباحث يعتقد أن الدراسات حول هذا الموضوع تكاد تكون

قد أنارت للباحث إضاءات في كتابته هذا البحث، فاستلزم ذلك منه الاطلاع على مصادر متنوعة تشمل كتب التفسير، والبلاغة وهي كتب قيمة، أذكر منها في الجانب الأول ابن عاشور في كتابه (التحرير والتنوير).

ومن القدماء الذين درسوا فن التشبيه في القرآن الكريم كان ابن ناقيا البغدادي في كتابه (الجمان في تشبيهات القرآن)وفي العصر الحديث كتاب (التشبيهات القرآنية والبيئة العربية) لواجدة مجيد الأطرقجي.

فبعد قراءة هذين الكتابين، يمكن القول: عدم مطابقة هذه الدراسة التي أقوم بها مع ما جاء في هذين الكتابين. كما حظيت المادة الأدبية الشعرية والنثرية بقسط وافر فيهما.

أما من المحدثين، فهناك دراسة أحمد لزهري بلخضر في رسالته (التشبيه صوره وألفاظه في القرآن الكريم). ودراسة أحمد عبد الله الكاف في رسالته (صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية) فكان استئناسي بهما في عملية فرز الشواهد القرآنية التي تمثل محاور التشبيه في القرآن الكريم، وقد سهلت عليّ الدراسة الأولى مهمة التعريفات النظرية المختلفة لمضامين التشبيه، غير أن هذه الدراسة اعتمدت النظرة الشمولية للتشبيه في القرآن الكريم، ولم تغفل عن استنباط المعاني الدقيقة واللطيفة التي تناولها التشبيه في الآية الواحدة، فضلاً على استقاليتها بدراسة بعض الظواهر الأسلوبية في التشبيه في القرآن الكريم.

أما المنهج الذي سلكته في تناول مادة هذا البحث فهو المنهج التكاملي الذي استعنت فيه بالتاريخ -وبخاصة في الفصل الأول عندما تعرضت لجهود السابقين- ومرة بالإحصاء في تقرير ما هو موجود في الجانبين النظري والتطبيقي وبواسطته استخرجت أنواع أو أقسام التشبيه المختلفة في القرآن الكريم، كذلك استعنت بالوصف والتحليل في إبراز كثير من الجوانب الفنية البيانية في التشبيهات القرآنية وبخاصة في استقصاء جميع الآيات التي تناولت أقسام التشبيه وتحليلها وتصنيفها وفق معايير خاصة. ثم النظر في الوظيفة الفنية التي أداها التشبيه في النص القرآني.

ولقد واجهتني صعوبات متعددة منذ بداية هذا البحث إلى نهايته، فقد كان البحث يعتمد الإحصاء منهجاً وهدفاً، حيث تداخلت أقسام التشبيه وأنواعه من جهة وتطبيقها في القرآن الكريم من جهة أخرى، حيث أخذت فترة طويلة من عملية الإحصاء والفرز، وصعوبة البحث لا تقف عن حدود الجمع بين آيات التشبيه في القرآن الكريم، بل تمتد هذه الصعوبة في فرز الألفاظ التشبيهية في إطار عنوان معين يحتاج إلى فكر دقيق، والصعوبة الأخرى هي صعوبة التمييز بين التشبيه الذي يحذف أحد أركانه، فتجتمع فيها الاستعارة مع المجاز والكناية مع الصورة.

والصعوبة الأخرى التي واجهتني، عدم وجود الدراسات المستقلة، وبخاصة في الدراسات التطبيقية في دراسة أسلوبية التشبيه في القرآن الكريم، إلاّ أنها كثيرة في مجال الدراسات المستقلة وبخاصة في دراسة الشعر.

وقد وزعت الرسالة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، فالفصل الأول مخصص لدراسة مفهوم التشبيه لغة واصطلاحاً، ويعد هذا الفصل مقدمة ضرورية لتحديد مفهوم التشبيه عند اللغويين النحاه، وعند النقاد الأدباء، وعند البلاغيين والمتكلمين، وتم الحديث إلى الإضافة التي قدمها كل عالم في دراسة هذا اللون البلاغي، فبدأت الدراسة بالخليل بن أحمد، وانتهت عند العلوي.

أما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه (التشبيه في الجانب النظري والتطبيقي) عن طريق النماذج القرآنية، مستعيناً في ذلك بالقواعد الأساسية للتشبيه في إحصاء النماذج وتحليلها، والاستعانة بآراء وشروح المفسرين في فهم معاني التشبيه، وتصنيفها بعد ذلك تحت ما يسمى التشبيه باعتبار الطرفين والتشبيه باعتبار الأداة والتشبيه باعتبار الوجه، حتى تدرجت في دراسة أغراض التشبيه وخصائصه الفنية في القرآن الكريم.

أماّ الفصل الثالث: فقد تناولت فيه مضامين التشبيه في تشبيهات القرآن الكريم، وخصصت بالذكر النماذج الإنسانية، وألفاظ النبات وألفاظ الحيوان، وألفاظ الحشرات، والنفقة في سبيل الله، وألفاظ بعض العناصر الطبيعية.

وبينت من خلال هذه المضامين أهميتها ودلالتها في حياة الإنسان.

أما الفصل الرابع: فقد تناولت فيه مفهوم الأسلوب والأسلوبية، وبعض القيم الأسلوبية التي تبرز واضحة من خلال التشبيه، وهي تمنح الأسلوب جمالاً وقوة، وأبرز هذه القيم هي: الحذف، والاستفهام الإنكاري، وبلاغة العطف في التشبيه، وإيقاع التشبيه، والمبالغة في التشبيه، وتكرار التشبيه، والتشبيه المصدري، وقد تتبعت هذه القيم واحدة تلو الأخرى، من خلال نماذج قرآنية في التشبيه في القرآن الكريم.

وفي الخاتمة قمت بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أشكر الله الذي أعان على إتمام هذه الرسالة، وكل من ساهم في إنجاز هذا البحث، وبخاصة أستاذي الدكتور زهير المنصور الذي تعهد هذا البحث بتوجيهاته التي أخذت بيدي، وجنبتني الوقوع في مزالق الإحصاء، وله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبالله التوفيق.

2.1 التشبيه لغة واصطلاحاً :

في اللغة:

"الشِّبْهُ والشَّبَه والشَّبيهُ: المِثْلُ، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشـــيء: ماثلـــه، وفي المثل: ومن يشابه أبه فما ظلم، وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كلٌ واحد منهمـــا صاحبه، والمتشابهات: المتماثلات، وتشبه فلان بكذا، والتشبيه: التمثيل"(1).

ونجد في معجم مقاييس اللغة تعريفاً مشابهاً لتعريف ابن منظور في اللســـان يقول ابن فارس: "الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشـــاكله لوناً ووصفاً"(2).

كما جاء في مادة (مثل) "الميم والثاء أصل صحيح يدلُّ على مناظرة الشـــيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد. وربما قالوا مثيل كشبيه. والمثل: المثل أيضاً، كشبيه وشبه"(3).

وما يمكن استفادته من هذه المعاني والإشتقاقات اللغويـــة، أن التشـــبيه يفيـــد التمثيل وكذلك العكس، وأن كلاً منهما قد تنوب مناب الأخرى، مؤدية الغرض نفسه، وهما تعنيان تقارب بين شيئين في صفة واحدة أو أكثر.

ويتضح من هذا العرض اللغوي أن التشبيه والتمثيل بمعنى واحد، ولهذا فأن التشبيه في اللغة يعني التمثيل مطلقاً(4).

في الاصطلاح:

التشبيه في عرف علماء البيان:"هو الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد في نفسه"(5).

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة شبه م13، ص503.

(2) ابن فارس، ابن الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد الســـلام هارون، ج3، ط 1990م، ص243.

(3) المصدر نفسه: ص296.

(4) الكليات، لأبي البقاء، ت/1094، القسم الثاني، ص32.

(5) المصدر نفسه: ص34.

ويعرّفه القزويني (ت: 739) بقوله: "التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"(1).والمراد بالتشبيهه هاهنا ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ولا الاستعارة بالكناية ولا التجريد.

وقدأدلىكثير من اللغويين والنحاة، والأدباء والنقاد، والمتكلمين والبلاغيين، كل منهم بدلوه، في إبداء الملاحظات حول التشبيه، أو دراسة جانب أو جوانب من أسلوبه، بناء على منطلقات علمية وعرفية أحياناً، وعلى منطلقات جمالية ذوقية أحياناً أخرى.

وسأخصص لكل مجموعة مجالاً مستقلاً يبرز نماذج من دراساتها لهذا الفن، وما أدته لهذا الفن الجميل من جهد.

وتيسيراً في فهم طبيعة التشبيه، وخضوعاً للملامح العامة لدرس التشبيه عند أعلام المؤلفين من جهة أخرى سوف أعتمد الإطار الزمني والفني في تقسيم هذا المبحث من خلال المحاور التالية:

1. المحور الأول: التشبيه عند اللغويين والنحاة.
2. المحور الثاني: التشبيه عند الأدباء والنقاد.
3. المحور الثالث: التشبيه عند البلاغيين والمتكلمين.

3.1 محاور التشبيه عند القدماء :

1.3.1 التشبيه عند اللغويين والنحاة:

لقد أهتم القدماء بدراسة الفن البياني وخاصة "التشبيه" لأنه شيء مركوز في طباع كل البشر يلجئون إليه لإبراز المعنى وتوكيده في نفس المتلقي، وهو قديم في الأداء الأدبي وفي تقدير الأدباء والنقاد العرب، حتى عدّت البراعة في صياغته، دليلاً على التميز والبراعة في النظم.

وكان طبيعياً، أن يلتفت إليه اللغويون والنحويون، ولقد أسهم اهتمامهم بالتشبيه في تشكيل الذوق الأدبي، وبذر بذور الإعجاب المتواتر بالتشبيه،لأنه "أكثر الأنواع جذباً لانتباههم، وأكثرها إثارة لإعجابهم، فالتشبيه أكثر ظهوراً وجذباً للانتباه

---

(1) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، ج4، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص16.

– للوهلة الأولى– من غيره؛ إذ إنّ أداته تجعله أول ما يلفت انتباه المتلقي للشعر، لاً عن أن كثرته الملحوظة في الشعر الجاهلي، أمرٌ لفت انتباه اللغويين لفتاً شديداً ودائماً"[1]

أ- التشبيه عند الخليل (ت/175هـ) وسيبويه (ت180هـ).

يعد الخليل بن أحمد أول من تناول التشبيه، حيث عرف التشبيه، وحدد طرفيه في مثال أتى به لبيان جواز وصف الجملة، لأنه تشبيه، يقول: "وزعم الخليل ابن أحمد أنه يجوز له صوتٌ صوتَ الحمارِ على الصفة لأنه تشبيه فمن ثم جاز أن توصف النكرة به"[2] .

كما وتحدّث عن أداة من أدوات التشبيه وهي (كأن) "وسألت الخليل عن كأن فزعم أنها إنّ، لحقتها الكاف للتشبيه، ولكنها صارت مع إنّ بمنزلة كلمة واحدة"[3]

أما سيبويه فقد تناول التشبيه من خلال موضوع آخر، ففي باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لا تساعهم في الكلام وللإيجاز والاختصار" يضرب مثالاً للتشبيه، يقول: "ومثله في الاتساع قوله عزّ وجل: **﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾** [4] فلم يشبهوا بما ينعق وإنما شبهوا بالمنعوق به"[5] وجاء سيبويه على سعة الاختصار لعلم المخاطب بالمعنى.

كما تنبه سيبويه إلى لون جديد من ألوان التشبيه، سماه البلاغيون "التشبيه المؤكد" وهو أن يأتي المصدر "المشبه به منتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره. ومن ذلك: "مررت به فإذا له صوتٌ صوتَ حِمار، ومررت به فإذا له صُراخَ الثكلَى" يقول: "فإنّما انتصب هذا لأنك مررت به في حال تصويتٍ، ولم ترد

(1)بتصرف: جابر أحمد عصفور، الصورة في التراث النقدي والبلاغي، دار المعرف، القاهرة، ص112.

(2) سيبويه، أبو عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ج1، 1968م، ص361.

(3) المصدر نفسه، ج3/ 151.

(4)(البقرة:171)

(5) نفسه، 212/1.

أن تجعل الآخر صفةً للأول وبدلاً منه، وهذا شبيهٌ في النصب لا في المعنى"[1].
وتقدير الفعل المحذوف هو: يصوِّتُ صوتَ الحمار.

وقال أيضاً عن التشبيه: "وقد يُشبِّهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله"[2]

ويمكن القول إن دراسة سيبويه للتشبيه، قد أسهمت بنصيب ما في التشبيه، وهو نصيب ضئيل الأثر زهيد القيمة، وذلك لأنه اهتم بوضع القواعد النحوية، ولم يركز على جماليات التشبيه، ويفصّل فيه القول إذا صادفه لوناً بلاغياً كالتشبيه[3]. ولكن دراسته للتشبيه قد لفتت أنظار البلاغيين والنقاد في العصور اللاحقة.

ويتبين لنا أن الخليل قد أشار إلى أداة من أدوات التشبيه وهي (كَأَنَّ) ثم أشار سيبويه إلى جلّ أدواته كالكاف، وكأنّ، ومثل، كما يمكن القول إن أوّل من ذكر التشبيه من العلماء، وذلك بتناوله جلّ أدواته، وتطرقه إلى بعض صوره كتشبيه التمثيل، والتشبيه المؤكد.

وخطا سيبويه بالتشبيه خطوة نادرة في عصره، أسهمت في تطوير البحث فيه، إلا إن تناوله لم يخرج عن حدود التعليل والتفسير لأغراضه النحوية واللغوية، فلم يتجه فيه اتجاه البلاغيين من حيث بيان مسائله وصوره وفوائده، وهذا شيء لم يعهد في عصره.

ب- التشبيه عند الفراء (ت/207هـ).

تعتمد دراسة الفراء للتشبيه من خلال تعرضه لنوعين من التشبيه:

أولهما: تشبيه الفعل.

وثانيهما: تشبيه الأعيان.

---

(1) نفسه، 355-356.

(2) نفسه، 182.

(3) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ص116.

حيث ذكر أن تشبيه الفعل لا يشترط فيه التناسب في العدد، "يقول: في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾ (1).

يقول: "فإنما ضرب المثل والله أعلم – للفعل لا لأعيان الرجال، وإنما استوقدوا. وهو كما قال الله: ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾(2)

أما النوع الثاني فيشترط فيه التناسب في العدد بين المشبه والمشبه به(3)، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(4) فكان مجموعاً إذ أراد تشبيه أعيان الرجال، فأجر الكلام على هذا"(5)

ثم وضّح الفراء المشبه به ووجه الشبه، يقول في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾(6) أضاف المثل إلى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي. ولم يَقُل: كالغنم، والمعنى– والله أعلم – مثل الذين كفروا (كمثل البهائم) التي لا تفقه ما يقول الراعي أكثر من الصوت... فأضيف التشبيه إلى الراعي، والمعنى – والله أعلم– في المرعى"(7).

ج- التشبيه عند أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت/ 210هـ) (8).

كانت مسائل البلاغة مفرّقة في كتب السابقين عند المفسرين وخاصة كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة، وقد دارت ملاحظات أبي عبيدة حول آيات التشبيه في القرآن الكريم، ولم تخرج في معظمها عمّا قاله الفرّاء، كما جاء في تعليقه على قوله

---

(1) سورة البقرة: 17.

(2) سورة الأحزاب: 19.

(3) الفراء، أبو زكريا بجي بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1، 1955، ص15.

(4) الحاقة: 7.

(5) الفراء: معاني القرآن، ص15.

(6) البقرة: (171).

(7) الفراء: معاني القرآن، ص99.

(8) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: محمود فؤاد سزكين، الناشر، محمد سامي الخانجي، مصر، ط1، 1962م، ج2، ص103.

تعالى: ﴿ تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾(1) وفي آية أخرى: ﴿ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾(2) فالحيات أجناس فيها الجان وغير ذلك والأفعى والحُفّاث ومجازها كأنها جان من الحيات ومجاز الأخرى فإذا هي حيّة من الجان.

ويلاحظ أن أبا عبيدة لم يركز على الجانب الجمالي، وإنما اهتم في بيان طرفي التشبيه، والوجه، والغرض من التشبيه وذكر الأداة (كأنها).

وبذلك فإن الفراء لم يزد شيئاً على أبي عبيدة في معرفته وتناوله لطرفي التشبيه ووجه الشبه، ولكن كان الاختلاف بينهما في طبيعة الأسلوب.وبذلك فإنني مع الرأي القائل إن أبا عبيدة قد فهم التشبيه أكثر من فهم الفراء، لأنه قد أشار إلى التشبيه المقيد، في حين لم يشر الفراء إلى ذلك لا من قريب ولا بعيد.

وهكذا جاءت نظرة أبي عبيدة للتشبيه ضمن كتابه مجاز القرآن على أن التشبيه يطلق عليه "مجاز".والمجاز عند أبي عبيدة هو التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز.

د- التشبيه عند ابن قتيبة(ت/ 276هـ):

تحدّث ابن قتيبة عن أغراض التشبيه في القرآن الكريم، ومن تحليله ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾(3) "ويقول: وقع التشبيه بالراعي في ظاهر الكلام، والمعنى للمنعوق به وهو الغنم"(4) وهذا يعني أنه اكتفى بذكر المشبه وهم الكفار، والراعي وهو المشبه به، فهو يعتمد على فهم السامع أو القارئ في استنباط مقاصد التشبيه.

كما تعرّض ابن قتيبة إلى تحليل وجه الشبه في ما ذكر من تفسيره للآيات القرآنية، ومنها قوله عزّ وجل: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(5) يقول: "وإذا صار القمر في آخر منازله دقّ حتى يعود كالعرجون القديم

---

(1) القصص: 31.

(2) طه: 20.

(3) البقرة: 171.

(4) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرحه السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، 1981م، ص199.

(5) يس: 39.

وهو العِرق اليابس. والعرجون إذا يبس دقّ واستقوس حتى صار كالقوس انحنــاءً، فشُبّه القمر به ليلة ثمانية وعشرين"(1).

هـــ- التشبيه عند المبرد (ت/ 285هــ).

يعدّ أبو العباس المبرد من أقدم الذين عالجوا التشبيه باعتباره ركناً من أركان البيان، فقد عقد له في كتابه "الكامل" باباً مستقلاً، ويقول في بــاب التشــبيه: "والعرب تشبِّه على أربعة أضرب: فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقــارب، وتشبيه بعيدٌ يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه، وهو أخشنُ الكلام"(2) ولكــن كانــت نظرة المبرد لهذا الموضوع نظرة تقليدية، حيث لم يتناول توضيح المقصود بكل لون من ألوان التشبيه.

ويورد المبرد في أثناء عرضه الاستطرادي شيئاً من التشبيهات التقليدية "... أن يشبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية، والأنف بحدّ السيف، والفم بالخاتم، والشعر بالعناقيد، والعنق بإبريق فضة، والساق بالجُمّارة"(3)

ومن حسن التشبيه قول عنترة (4)

وَغَادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ   يَجُرُّ الأسِنّةَ كالمُحْتَطِبْ

يقول: طُعِنَ وغودرت الرماح فيه، فظلّ يجرّها، كأنه حامل حطب .

ولقد اكتفى المبرد بذكر الشواهد وما بها من دلائل على الفرق بين قسم وآخر دون أن يلجأ إلى التمييز بطريقة التعريف، أو تحليل الشاهد وبيان كونه مــن هــذا التقسيم أو ذاك. وعلى الرغم من غزارة الأسماء التي أطلقها المبــرد علــى ألــوان التشبيه والأقسام التي عددها. فإنه لم يشر أية إشارة إلى التشبيه المعكوس الذي ظفر فيما بعد بنصيب وافر من الحديث وخاصة عند عبد القاهر الجرجــاني فــي كتابــه أسرار البلاغة(5).

---

(1) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، 317.

(2) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرســالة، بيروت، ط1، 1986م، ج2، ص1032.

(3) نفسه: 1038/2.

(4)عنترة بن شداد ،الديوان،دار بيروت للطباعة والنشر ، 1958 ، ص32 .

(5) عبد القادر حسين، المختصر في تاريخ البلاغة العربية، دار الشروق، بيروت، ط1، 1982م، ص68.

و- التشبيه عند ابن جني (ت/392هـ).

لقد دارت ملاحظات ابن جني حول التشبيه المقلوب في تشبيهات الشعراء، وكان منطلقه فيها نحوياً، وتعرّض للجانب الجمالي.

ويطالعنا ابن جني في كتابه الخصائص في باب "من غلبة الفروع على الأصول" فيقول: "هذا فصلٌ من فصول العربيّة طريف، تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الأعراب. ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلاّ والغرض فيه المبالغة، فما جاء فيه ذلك للعرب قولُ ذي الرُمَّة:

ورملٍ كأوراكِ العَذَارَى قطعتُهُ   إذا ألْبَستهُ المُظلماتُ الحنادِسُ

أفلا ترى ذا الرمة كيف جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً. وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تشبَّه أعجاز النساء بكُثبان الأنقاء"[1].

وفي هذا البيت يصف ابن جني التشبيه المقلوب بالطرافة، وهذا اللون من التشبيه موجود في أشعار العرب، وجاءت نظرة ابن جني دقيقة في ربط الأصول النحوية بالطرائق والعادات العربية في التعبير عن المعاني[2].

ز- التشبيه عند ابن فارس (ت/395 هـ)

كان حديث ابن فارس عن التشبيه في "باب الخطاب المطلق والمقيد" حيث ذكر صوراً من التشبيه المفرد الطرفين سواء أكان الأفراد مطلقاً أم مقيداً، ونجد عند ابن فارس توضيحاً دقيقاً تكلّم فيه عن قيمة القيد وأثره في دقة التشبيه، وذكراً لبعض أنواع القيود.

يقول ابن فارس: "أما الإطلاق فأنْ يُذكرَ الشيءُ باسمه لا يُقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شيء بسبب ذلك .. والتقييد أن يُذْكر بقرين من بعض ما ذكرناه، فيكون ذلك القرينُ زائداً في المعنى. ومن ذلك أن يقول القائل: زيدٌ ليث،

---

(1) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1، ط2، ص300.

(2) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر-القاهرة، ص: 326.

فهذا إنما شبَّه بليث في شجاعته، فإذا قال: هو كالليث الحربِ، فقد زاد الحرب، وهو الغضبان الذي حُرِبَ فريستَه أي سُلبَهَا، فإذا كان كذا كان أدهَى له"(1).

أما مثال التشبيه المطلق من الشعر(2)، فيمثله بقول امرئ القيس:

مُهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مفاضةٍ   ترائبُها مَصقولةٌ كالسّجنجلِ

فشبه صدرها بالمرآة لم يَزد على هذا.

أما مثال التشبيه المقيد، فيمثله بقول عنترة بن شداد، فقال:

تروُحُ على آلِ المُحلّقِ جَفنَةٌ   كجابيةِ الشّيخ العراقيّ تَفهَقُ

فشبه الجفنة بالجابية –وهي الحوض–وقيدهابذكر الشّيخ العراقي؛لأن العراقي إذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماءومواقع الغيث(3).

2.3.1 التشبيه عند الأدباء والنقاد:

لقد لمع نجم كثير من العلماء النقاد والأدباء الذين اهتموا بدراسة "فن التشبيه"، والذي يعدُّ عصرهم بالعصر الذهبي للنقد العربي، حيث أثمرت جهودهم عن وضع مجموعة من الكتب الأدبية التي ساعدت في إثراء الحركة النقدية وتنشيط البحث الأدبي.

ومن هذه الكتب، على سبيل التمثيل لا الحصر: "عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، ونقد الشعر لقدامة، والصناعتين لأبي هلال العسكري وغيرها" ونرى أن الخلط بين مسائل البلاغة ومسائل النقد ظل موجوداً في أغلب هذه المؤلفات، فماذا قال أصحاب هذه الكتب عن التشبيه؟

---

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة. أ. بدر للطباعة والنشر، بيروت، 1963، ص194.

(2) امرؤ القيس ، الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ص 15 .

(3) ابن فارس ، ص 195 .

أ- التشبيه عند ابن المعتز (ت 296 هـ)

جاء ابن المعتز بكتابه "البديع" ليثري التشبيه بكثير من الشواهد الشعرية التي تدل على تذوقه للشعر، والوقوف على بلاغته، ولكنه لم يذكر التشبيه بين ألوان البديع التي درسها في كتابه، وإنما ذكرها بين محاسن الشعر والكلام[1].

وفي كتابه البديع يثري ابن المعتز التشبيه بكثير من الشواهد الشعرية، والتي يكتفي فيها بالإشارة المجملة إلى أنها حسنة أو عجيبة، مكتفياً باطلاق الأحكام العامة، كقوله: "ومنها حسن التشبيه، نبدأ بإمام الشعراء.

قال امرؤ القيس:

وَمَشدودةَ السَّكِّ موضونةٌ   تضاءلُ في الطيِّ كالمِبردِ

تَفيضُ على المرءِ أردانُها   كفيضِ الأتيّ على الجَدجَدِ[2]

وكقوله: ومن التشبيهات العجيبة: قول عنترة بن شداد العبسي:

جَادَت عَلَيهِ كُلُّ بِكرٍ حُرَّةٍ   فَتَرَكنَ كلَّ قَرَارَةٍ كالدِّرهَمِ [3]

وهذه النظرة في التشبيه عند ابن المعتز، تتمثل في حسن اختياراته وإبداعه في تذوق الشعر، وتأثره بالسابقين. [4]

ب- التشبيه عند ابن طباطبا:(ت:322هـ)

لقد تحدّث ابن طباطبا عن مصادر التشبيه عند العرب، وبيّن أن أوصافهم وتشبيهاتهم لا تتجاوز حدود معرفتهم في ذلك الزمان "فليس تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها، وفي كل واحدة منهما في فصول الزمان على اختلافها: من شتاء، وربيع، وصيف، وخريف، من ماء، وهواء، ونار، وجبل، ونبات، وحيوان، وجماد، وناطق، وصامت، ومتحرك، وساكن"[5].

---

(1) عبد الحميد العيسوي، بيان التشبيه، دراسة تاريخية فنية، ط1، 1988، ص57-58.

(2) الديوان : ص 187 – 188 .

(3)الديوان : ص 18 .

(4) ابن المعتز: أبو العباس عبد الله: البديع، شرحه وعلّق عليه، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة البابي، 1954، ص121-125.

(5) ابن طباطبا، محمد أحمد، عيار الشعر، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية-بيروت، ط(1) 1982: (16-17).

كما ويؤكد ابن طباطبا على ضرورة التفاعل بين عناصر الصورة التشبيهية، بحيث يمكن أن يقوم أحدهما مكان الآخر، بحيث لو عكس التشبيه لم ينتقص المعنى المراد إيصاله، والتجربة المراد نقلها(1). يقول ابن طباطبا العلوي: "فأحسن التشبيهات ما إذا عكس لم ينتقص، بل يكون كل مشبه بصاحبه مثل صاحبه، ويكون صاحبه مثله مشتبهاً به صورة ومعنى"(2).

والتفاعل بين طرفي الصورة التشبيهية، يكشف عن صدقها الفني الشعوري، ويكون ذلك من خلال قدرتها على التأثير في نفس المتلقي؛ لأن الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب، ويحسن موقعها عنده(3): "والكلام الذي لا معنى له كالجسد الذي لا روح فيه"(4).

ثمّ يقسم ابن طباطبا التشبيه إلى صادق باستعمال كأن أو الكاف وما قارب الصدق مثل تراه أو تخاله أو يكاد "فما كان من التشبيه صادقاً قلت في وصفه: كأنه أو قلت ككذا، وما قارب الصدق قلت فيه: تراه أو تخال أو يكاد"(5).

ويتحدث عن التشبيه فيذكر أنه على ضروب كثيرة، ومثّل لكل نوع بشعر الشعراء العرب من العصر الجاهلي، وبيّن العلاقة بين أقسام التشبيه في صوره المختلفة، حيث قال: "والتشبيهات على ضروب مختلفة، فمنها: تشبيه الشيء بالشيء صورةً وهيئةً، ومنها تشبيهه به معنى، ومنها تشبيهه به حركة، وبطئاً وسرعة، ومنها تشبيه به لوناً، ومنها تشبيهه به صوتاً، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوي التشبيه وتأكد الصدق فيه"(6).

---

(1) مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت، ط(1) 1984: ص(197-198).

(2) ابن طباطبا: عيار الشعر: 17.

(3) مجيد عبد الحميد ناجي، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، ص198.

(4) ابن طباطبا، عيار الشعر، ص17.

(5) ابن طباطبا، عيار الشعر، 27.

(6) ابن طباطبا: عيار الشعر: 23.

ويكون ابن طباطبا قد توسع في الحديث عن التشبيه بطريقة أدبية تنم عن ذوق خصب، لمواطن الجمال، لأنه أديب يتمتع بالفطنة وصفاء القريحة، وصحة الذهن.

ج- التشبيه عند قدامة بن جعفر (ت/ 326 هـ)

يقول قدامة بن جعفر في التشبيه: "إن الشيء لا يُشبَّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات إذ كان الشيئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتّة اتحدا فصارا الاثنان واحداً، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد"[1].

ويتضح من كلام قدامة جعفر عن التشبيه هو: أن التشبيه لا يعني التطابق، بل ضرورة وجود أمر ما يجمع بين الطرفين، ولا يشترط اتحاد الطرفين في جميع العناصر.

ومع ما في تحليل قدامة للتشبيه من دقة وعمق يبقى هناك اعتراض وارد أثاره بعض الدارسين لكتاب (نقد الشعر) وسببه الجمع بين التشبيه والوصف أولاً، وثانياً جعل التشبيه غرضاً من أغراض الشعر المعروفة قديماً، على الرغم من أن قدامة لم يخلط بين المفهومين، فالوصف عنده أعم من التشبيه، والتشبيه يتضمن فعلاً لبعض معاني الوصف[2].

وبهذا تكون دراسة قدامة للتشبيه بطريقة منهجية عقلية مشيراً للأسس التي يبنى عليها التشبيه.

---

(1) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، 1963، ص122.

(2) إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، الدار البيضاء، 1981م.193

د- التشبية عند أبي هلال العسكري (ت/ 395هـ)

عقد أبو هلال العسكري في كتاب "الصناعتين في الشعر والكتابة" باباً تناول فيه فنون التشبيه، وقسمه إلى فصلين، تناول في الفصل الأول: التشبيه وعيوبه، وعرّفه بقوله: "التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب .. وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه"[1]. وهو عنده على ثلاثة أنواع ذكر منها: "تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون مثل تشبيه الليلة بالليلة، والماء بالماء ... والآخر تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل كتشبيه الجوهر بالجوهر، والسواد بالسواد ... والثالث تشبيه شيئين مختلفين لمعنىً يجمعهما كتشبيه البيان بالسحر"[2] وهو يشير إلى أن التشبيه يقتضي اشتراكاً في صفة، وافتراقاً في غيرها.

وتحدّث في الفصل الثاني من باب التشبيه عن القبيح من التشبيه والمعيب والرديء والبعيد والخطأ في أمثلة مختلفة، فيقول في الفصل الثاني في "البيان عن قبح التشبيه وعيوبه" إذا شبه أيضاً صغيراً بكبير وليس بينهما مقابلة فهو معيب أيضاً كقول ساعدة بن جوية:

كَسَاها رَطيبَ الريشِ فاعتدلت لها قِداحٌ كأعناقِ الظباءِ الفوارِقِ

شبه السهام بأعناق الظباء وليس بينهما شبه .. ولو وصفها بالدقة لكان أولى[3].

إن أبا هلال العسكري صدّر كلامه بما قاله الرماني في تقسيمات التشبيه جامعاً كل استشهاداته من القرآن الكريم، ولكن دون أن يذكر ذلك[4]، ولكنه أضاف كثيراً من الشواهد الشعرية، مبيناً جهة الحسن ومكانها من القبول، موضحاً الطريقة المسلوكة في التشبيه، والمنهج في التمثيل عند القدماء.

---

(1) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية-بيروت، ط2، 1984، 261.

(2) المصدر نفسه: 262.

(3) نفسه: 281.

(4) عائشة حسين فريد: البيان في ضوء الأساليب العربية، دار قباء للطباعة والنشر، 2000، ص42.

3.3.1 التشبيه عند البلاغيين والمتكلمين:

اهتم العرب بفنون القول وضروبه، وكانوا يقدمونه بكل صورة جميلة، وبنزول القرآن ازداد اهتمام علماء البلاغة بعلوم المعاني وأساليب البيان في القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم نمط من القول غير مسبوق، وفيه من سحر التأثير وروعة البيان وكمال الإعجاز، ثم حاروا في تعليل نواحي إعجازه وأسرار تأثيره؛ لذا تعدُّ معرفة المسائل البلاغية_ومنها التشبيه_ من المسائل المهمة في كشف مواطن الجمال في القرآن، ومعرفة إعجازه.

"وكانت البلاغة وثيقة الصلة بموضوع إعجاز القرآن الكريم خاصة، والكتب المتصلة بالقرآن الكريم عامة، وكان مرجع المتكلمين في جدلهم القرآن الكريم"[1] لأن هنالك من يطعن في القرآن الكريم من أصحاب النفوس الحاقدة على الإسلام، والمسلمين. وبهذا يكون البلاغيون وعلماء الإعجاز قد شاركوا في تثبيت اركان البلاغة العربية .

أ- التشبيه عند الجاحظ (ت:255ه):

تحدثَ الجاحظ عن التشبيه وضرب كثيراً من الأمثلة عليه، وبيّن بعض الأمثلة المشهورة في التشبيه عند العرب، يقول: "وقد يشبّه الشعراء والعلماء والبلغاءُ الإنسان بالقمر والشمس، والغيث والبحر، وبالأسد والسيف، وبالحيّة وبالنجم ولا يخرجونه بهذه المعاني إلى حدّ الإنسان، وإذا ذموا قالوا: هو الكلب والخنزير، وهو القرد والحمار، وهو الثورّ، وهو التيسّ، وهو الذيب، وهو العقرب وهو الجعل، ثم لا يُدخلون هذه الأشياء في حدود النّاس ولا أسمائهم، ولا يخرجون بذلك الإنسان إلى هذه الحدود وهذه الأسماء"[2].

فالجاحظ يحدد مفهوم التشبيه، ولكنه رسم التقاليد الفنية لفن التشبيه[3]: فمثلاً: عند المديح ينبغي تشبيه الإنسان بالقمر والشمس والغيث والبحر. وهذا يعني أنه لا

---

(1) أحمد الكاف، صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية، ص: 25.

(2) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط1، 1938، 211/1.

(3) محمد عبد الغني المصري، نظرية الجاحظ في البلاغة، دار القدومي للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 1998، ص48، 49.

بد من مراعاة حال الممدوح فالتشبيه بالقمر والشمس مثلاً أحق بالمرأة، كما يشبه الشجاع بالأسد والسيف، ويشبه الكريم بالبحر. أمّا عند الهجاء فيشبه المذموم بالكلب، والخنزير، والحمار، والتيس، والعقرب.

فالتشبيه كما يفهم من عبارة الجاحظ هو: "اشتراك شيئين في صفة أو أكثر دون أن يعني ذلك خروج المشبه عن حالته إلى المشبه به أو انطباقه معه تماماً"[1].

وقد تنبه الجاحظ إلى دقة القرآن في التشبيه، وحاول أن يكشف عن ما وقع الناس فيه من غموض، دعاه إلى التساؤل عن وجه الشبه. ومن أمثلة التشبيه، وقد اعترض معترضون على قوله عزّ وجل: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[2].

فزعموا أنَّ هذا المثلَ لا يجوزُ أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام؛ لأنه قال: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾. فما يُشبّه حال من أعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً، وإن تركته شد عليك ونبح، مع أنّ قوله: يلهث، لم يقع في موضعه، وإنما يلهث الكلب من عطشٍ شديد وحرّ شديد، ومن تعب، وأمّا النُباح والصّياح فمن شيء آخر. قلنا له: "إن قال ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾. فقد يستقيم أن يكون المراد ولا يسمّى مكذّباً، ولا يقال لهم كذّبوا إلا وقد كان ذلك منهم مراراً، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبه الذي أوتي الآيات والأعاجيب، بالكلب في حرصه وطلبه، فإنّ الكلب يعطي الجد والجُهد من نفسه في كلّ حالةٍ من الحالات، وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه، بعد الحرص عليها بالكلب إذا رجع ينبح بعد إطراعك له[3]. ولقد بذل الجاحظ جهداً واضحاً في سبيل استخراج وجه الشبه بين الطرفين في هذه الآية.

---

(1) وليد القصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السّادس الهجري، دار الثقافة، قطر- الدوحة، 1985، ص87.

(2) الأعراف، 175-176.

(3) الحيوان، 2/15-17.

وعبد القاهر يشترط في التمثيل أن يكون وجه الشبه فيه عقلياً، أما التركيب في التمثيل فهو أمر يشترطه، ولكنه لا يجزم بذلك، و يميل إلى أن بعد التمثيل مخصوصاً بالصور المركبة، يقول: "وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجملة أكبر"(1).

وهكذا نجد عبد القاهر يعرض لنا صوراً بلاغية يظهر فيها شيئاً من التحليل والعمق والاستقصاء، بحيث لا يدع شيئاً إلا وقد وفاه حقه من العرض والتحليل، فكان مبتكراً ومجدداً في كل ما يتناول من مسائل التشبيه(2).

ح _ **السكاكي(ت:626هـ)**

لقد حدد السكاكي دراسته للتشبية ضمن المحاور الآتية، وهي: طرفا التشبيه، ووجه الشبه، والغرض من التشبيه، وأحوال التشبيه، فطرفاه؛ إما أن يكونا محسوسين، أو عقليين، أو أن يكون المشبه معقولاً، والمشبه به محسوساً، أو العكس. أما التشبيه الخيالي فإنه ملحق بالتشبيه العقلي(3)، ثم قسمه باعتبار وجه الشبه إلى ما يكون واحداً أو غير، والواحد: إمّا حسي أو عقلي، وغير واحد: إما في حكم الواحد، أو ليس في حكمه(4)، ثم إلى تشبيه تمثيلي، وآخر غير تمثيلي؛ فالتمثيلي، هو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعاً من عدة أمور. وتشبيه غير تمثيلي، وهو ما كان على خلاف ذلك.

---

(1) نفسه: ص96.

(2) عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1991م،ص42.

(3) السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص: 439-440.

(4) نفسه: ص441.

وحصر القزويني وظيفة التشبيه في ثلاث نقاط: التزيين والتشويه والاستطراف، ومن التشبيه الذي يفيد التزيين، كما في تشبيه وجه أسود بمقلة الظبي، والتشويه، كما في تشبيه وجه مجدور بسلحة جامدة قد نفرتها الديكة، ومنها استطرافه، كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه الذهب، لإبرازه في صورة الممتنع عادة[1].

ك- التشبيه عند العلوي (ت: 749 هـ):

عرّف العلوي أسلوب التشبيه بأنه "الجمع بين الشيئين، أو الأشياء. بمعنى ما بواسطة الكاف ونحوها"[2].

إن تعريفه للتشبيه لا يكاد يخرج عن تعريفات علماء البلاغة، إلا بنصه على الأداة "الكاف".

كما نبه العلوي على ضرورة وجود صفات جامعة بين طرفي التشبيه، يقول: "اعلم أنّ كلّ من أراد تشبيه شيء بغيره، فلا بّد من اجتماعهما في وصفٍ يكون دالاً على الاجتماع وعلماً دالاً على المبالغة، ولا بدّ من أن يكون المشبه به أعلى حالاً من المشبه، لتحصل المبالغة هناك"[3].

ثم ينتقل إلى الحديث عن أنواع طرفي التشبيه من حيث الصفات الحسية والعقلية، فيرى أن هذه الأوصاف تنحصر ضمن الأقسام التالية: الأوصاف المحسوسة[4]، مثل: **﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾** [5].

فالأوصاف المحسوسة عنده، هي التي تدرك بالحواس المعروفة؛ كالبصر، أو السمع، أو الذوق، أو الشم، أو اللمس، فالتشبيه في الآية الكريمة السابقة، من الأوصاف المحسوسة التي اشتركت فيها الصفة المبصرة.

---

(1) نفسه: ص68-73.

(2) يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف، مصر 1914، م1، ج1، ص263.

(3) نفسه، ص226.

(4) نفسه، ص267.

(5) الصافات: 48-49.

فأغراض التشبيه عنده هي نفس الأغراض التي تناولها ابن الأثير، فالتشبيه يرد في النص لأغراض كثيرة، منها:البلاغة، والإيجاز، والبيان، والإيضاح. ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[1].

فشبه السفن الجارية على ظهر البحر بالجبال في كبرها وفخامة أمرها على جهة المبالغة[2]. وهو يقسم التشبيه إلى طرق كثيرة، وتنقسم إلى أنحاء منتشرة واعتبارات مختلفة، وهي عنده أربعة تقسيمات، هي: تشبيه مفرد ومركب، ويعني بالمفرد ما كان التشبيه فيه مقصوراً على تشبيه صورة بصورة من غير زيادة، أو صورة بمعنى، ويعني بالمركب ما كان التشبيه فيه تشبيهاً لأمر بأمرين أو بأكثر من ذلك، أو تشبيهاً لأمرين بأمرين أو بأكثر[3].

والضرب الثاني من أقسام التشبيه هو: تشبيه المركب بالمركب، ويقصد به تشبيه شيئين بشيئين، أو ثلاثة بثلاثة، أو تشبيه أربعة بأربعة. أما الضرب الثالث فهو تشبيه المفرد بالمركب، والضرب الرابع هو تشبيه المركب بالمفرد.

ويرى العلوي أن التشبيه المضمر الأداة أبلغ وأوجز من التشبيه الذي ظهرت أداته، فهو أبلغ ؛لأنك جعلت المشبه حقيقة المشبه به من غير واسطة، أما كونه أوجز؛ فلأن أداة التشبيه محذوفة منه[4].

ويتحدّث العلوي عن كيفية وقوع التشبيه، ويذكر منها: "أن الغرض من التشبيه هو الإبانة والإيضاح، ثم أما أن يكون بياناً لحكم مجهول، أو بياناً لمقداره"[5].

وخلاصة القول: إن العلوي كان في معظم الجوانب التي درسها في التشبيه يسير وفق ما نهج عليه علماء البلاغة، وخاصةابن الأثير.

---

(1) الرحمن: 24.

(2) الطراز: ص274.

(3) نفسه: ص285-295.

(4) نفسه: ص315.

(5) نفسه: ص348.

الفصل الثاني

أقسام التشبيه في القرآن الكريم :

لقد نهج علماء البلاغة المتقدمون المسلك الصعب في وضع القواعد العامة للبلاغة، ومنها التشبيه الذي نحن بصدد الكلام عنه، أمثال (الرماني والعسكري والجرجاني) مما حدا بعلماء البلاغة المتأخرين أن يسلكوا هذا المنهج الصعب الذي سلكه المتقدمون. ومن يتأمل كتب البلاغة عند المتأخرين يلاحظ أن بعضاً منها جاء بقصد التمثيل كما جاء في كتاب المفتاح للسكاكي-المتوفى سنة (626هـ) أو بقصد الاختصار والتحليل كما هو الشأن لما تناوله الخطيب القزويني في كتابه (التلخيص في علوم البلاغة). ٦٢٢٣٠٠

ولكن هذه الشروح وغيرها، يلاحظ فيها أن المتأخر منها لا يخالف المتقدم كما قال بهاء الدين السبكي: "ويتناولون الشكل والواضح على أسلوب واحد كلهم قد ألفه، لا يخالف المتأخر منهم المتقدم إلا بتغيير العبارة"(1).

وعلى الرغم من ذلك، فإن التعقيدات الدقيقة والمعقدة بقيت عائقاً أمام ذواقي الفن البلاغي، مما دفع بالبعض إلى حذف بعض منها وإبقاء البعض الآخر، يقول صاحب الطراز في تبيانه لأقسام التشبيه": "إن التشبيه له طرق كثيرة، وتنقسم إلى أنحاء منتشرة باعتبارات مختلفة ولكنا نقتصر من ذلك على تقسيمات أربعة هي وافية بالمطلوب ومندرج تحتها شُعبٌ كثيرة""(2).

أما علماء البلاغة المحدثون (المعاصرون) فقد تباينت مواقفهم حول تذوق التشبيه، فمنهم من سار على منهج القدماء في التفريعات والتعقيدات ونلمس هذا عند بكري شيخ أمين في كتابه (البلاغة العربية في ثوبها الجديد) علم البيان، يقول في ذكر الأداة وحذفها: "يقسم البلاغيون التشبيه إلى قسمين: المرسل: ما ذكرت فيه الأداة، ويسميه بعضهم بالتشبيه المظهر نحو العمر مثل الطيف، التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه الأداة، ويسميه بعضهم بالتشبيه المضمر نحو: "نحن نبت الربا، وأنت

---

(1) بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة السعادة، مصر، 1342هـ، ط2، ج1، ص87.

(2) يحيى بن حمزة العلوي اليمني، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج1، ص285.

الغمام"[1] ويعد هذا الكلام حول التشبيه اختصاراً لبعض ما جاء في كتب البلاغة عند القدماء، ولكنه أحياناً يقول: "التشبيه المرسل أو ضاع"[2]، ويعدد أربعة أقسام ذكرها ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) [3] ولكنه في الفصل الثاني يقول: "أنواع التشبيه"[4] محتذياً بذلك بما فعله علي الجارم ومصطفى أمين في كتابهما (البلاغة الواضحة) الذي خصص للمدارس الثانوية.

ومن الملاحظ أن الشيخ بكري أمين يعد التشبيه البليغ ضمن (الأنواع) بينما نجد هذا النوع من التشبيه لدى علي الجارم ومصطفى أمين مندرج ضمن الأقسام، فمثلاً نجد عنواناً يحمل "أقسام التشبيه"[5] ونجد بعد ذلك في قسم التمرينات عبارة: "بيِّن كل نوع من أنواع التشبيه فيما يأتي"[6].

أمّا عبد العزيز قليقلة في كتابه (البلاغة الاصطلاحية) استطاع أن يلملم بعض هذه القواعد في مصطلحات عامة، ولكنه اقتصر على: "أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه"[7].

ويرى شفيع السيد أنه من غير المفيد العناية بالتشبيه ضمن أقسام. "فالأمر في الدرس البلاغي الذي نتطلع إليه، ونسعى إلى تحقيقه لا يتعلق بتصنيف أسلوب التشبيه أو غيره في قوائم. وإنما ينصب الاهتمام على استجلاء المعنى الأدبي من خلال الأسلوب المعين"[8]. وهذا الموقف يظهر موقفه من التشبيه ويكون ذلك من خلال: "درج البلاغيون المتأخرون على تسمية التشبيه الذي توجد فيه الأداة باسم

---

(1) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البيان، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1982، ط1، 29.

(2) المصدر نفسه، ص29.

(3) ابن الأثير، المثل السائر، م2-ج2، ص2.

(4) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، المصدر السابق، ص41.

(5) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، لبنان، ص23.

(6) المصدر نفسه، 26.

(7) عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1987، ص42.

(8) شفيع السيد، التعبير البياني، رؤية نقدية بلاغية، دار الفكر العربي، ط4، 1995، ص61.

"التشبيه المرسل" وتسمية ما ليس فيه أداة باسم التشبيه المؤكد ،أو البليغ. وهي تسميات لا يستعد بها"[1].

1.2 أقسام التشبيه في القرآن الكريم:

بعد دراسة نظرية التشبيه عند البلاغيين، والنظر إلى أهم التقسيمات التي قُسّم إليها التشبيه، باعتبار أركانه، لا بدّ من العودة إلى هذه القسمة لإعطاء كل قسم منها نصيبه من القرآن الكريم، على أن تكون هذه الدراسة تطبيقية.

ونبدأ بالتشبيه باعتبار طرفيه، لتقسم التشبيهات القرآنية على أساس الحسي والعقلي، ثم على أساس الإفراد والتركيب، ثم تأتي القسمة الثانية، وهي باعتبار الأداة، فتقسم التشبيهات القرآنية إلى المرسل والمؤكد، وبعد ذلك تأتي القسمة الثالثة وهي باعتبار وجه الشبه، فتقسم التشبيهات القرآنية إلى المفصّل والمجمل، والتمثيلي، والقريب، والبعيد، ثم أوردنا ملحقاً في نهاية هذا الفصل خصصناه للنسب الإحصائية للتشبيهات القرآنية.

2.2 التشبيه باعتبار الطرفين:

في هذا المبحث تقسّم التشبيهات القرآنية باعتبار طرفيها، مرة باعتبار الحسّي والعقلي، وثانية باعتبار الإفراد والتركيب.

أ- الحسي والعقلي:

الناظر إلى التشبيهات القرآنية من نافذة الحسي والعقلي، يجد نفسه أمام أربعة أقسام من التشبيه وهي: ما كان طرفاه حسيّين، وما كان طرفاه عقلياً وحسياً، وما كان طرفاه حسياً وعقلياً، وما كان طرفاه عقليّين[2].

1- ما كان طرفاه حسيين:

وهو التشبيه الذي يدرك بإحدى الحواس الخمس المعروفة، وفيما يتعلق بالتشبيهات القرآنية المحسوسة الطرفين، وجدنا الحواس قد تقاسمت هذه التشبيهات

(1) المرجع السابق، ص35.

(2) ينظر: الرازي، فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق ابراهيم السامرائي محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1985، ص92.

بنسب متفاوتة. إذ نجد حاسة البصر تحوز على أكبر نصيب من هذه التشبيهات إذا ما قورنت بغيرها من الحواس الأخرى. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[1].

ويلاحظ في هذه الآية أن الطرفين في هذا التشبيه هما الحور العين، المعبر عنهن بالضمير في "كأنهن" والياقوت والمرجان وكلاهما من قبيل المحسوس الذي يرى بالعين المجردة، والتشبيه بالياقوت والمرجان إمّا أن يكون في صفائهما أو في حسن بياض اللؤلؤ، وحمرة الياقوت.

ومن التشبيه الحسي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[2] فالصفة المشتركة بين السفن والجبال هي العظم، وقد تحققت في المشبه به وهو الأعلام ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[3] فالصفة المشتركة وهي النحول والانحناء وتحققت من خلال المشبه به وهو العَرجون القديم.

وقد يكون الغرض من التشبيه الحسي، تشبيه صورة بصورة، كقوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[4] وجاء التشبيه لبيان اللون والحسن، فكان هذا اللون في غاية الحسن عند العرب، ومن أجل ذلك كانوا يمتدحون النساء ببياض اللون.

ومن التشبيهات المحسوسة، قوله تعالى في إهلاك (عاد) بالريح العاتية: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[5]. فقوم (عاد) كأنهم أصول نخل خاوية خالية الأجواف، لا شيء فيها.

ومن تشبيهات المحسوس بالمحسوس، قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ﴾[6] فالمشبه هو الكافرون والمشبه به هو الناعق بذاته، وهما حسيان، أدركا في إحدى الحواس الخمس.

---

(1) الرحمن: 58.

(2) الشورى 32.

(3) يس 39.

(4) الصافات 49.

(5) الحاقة 7.

(6) البقرة 171.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[1].

فالمشبه في الآية الأولى السماء، وفي الآية الثانية الجبال، هما حسيان، والمشبه به في الأولى المهل، وفي الثانية العهن، وهما حسيان.

ويلاحظ أن هذا النوع من التشبيه يشكل حجر الزاوية في تشبيهات القرآن الكريم، وذلك لتوضيح المشبه، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على يسر التشبيهات القرآنية وقربها من الذهن، لأن القرآن كان هدفه توضيح أمور الدين، واستحدث التشبيهات القرآنية محسوساتها من البيئة فأكثر من اختيار المشبه به.

2- ما كان فيه المشبه عقلياً والمشبه به حسياً:

بعد دراسة التشبيهات السابقة التي كان التشبيه فيها حسّياً بحسّي، لا بد من دراسة الآيات التي تحتوي على طرفين مختلفين، وذلك لكونه أكثر شيوعاً في الآيات القرآنية، ولأن فيه إظهار للمعاني المعقولة في صور محسوسة، تألفها النفس، وهذا قمة الوضوح للأشياء.

ولقد تحدّث العسكري عن بلاغة التشبيه ضمن أوجه متعددة منها: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة[2]، وهذا الوجه ينطوي تحت ما يسمّى بتشبيه المعقول بالمحسوس.

ومن هذه التشبيهات قوله عزّ وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[3].

فالمشبه هو عمل الكافرين، وهو أمر عقلي، والمشبه به السراب وهو محسوس. "فقد أخرج ما لا يحس إلى ما يحس والمعنى الذي يجمعهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قال: يحسبه الرائي ماء لم يقع هو موقع قوله: (الظمآن) لأن الظمآن أشد فاقة إليه وأعظم حرصاً عليه"[4].

(1) المعارج 8-9.

(2)الصناعتان، ص262.

(3) النور 39.

(4) الصناعتان: ص262.

ومثل هذا ما جاء في قوله تعالى: **﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾**(1). المشبه: صورة الذين يدعون الأصنام والآله الأخرى،والمشبه به: صورة الذي يبسط كفيه إلى الماء يريد أن يشرب ، ووجه الشبه: خيبة الأمل وعدم الحصول على شيء.الآية إذن أخرجت المعنوي المعقول إلى المحسوس، أو ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما وقعت عليه الحاسة، وقد وردت أمثلة أخرى لمثل هذا التشبيه في القرآن الكريم(2).

وإذا حللنا الأمثلة التشبيهية التي بين أيدينا، لوجدنا أن الجانب الحسي يبرز في معظمها وعلى الخصوص في الطرف الثاني من الصورة (المشبه به) ومن أمثلة ذلك ألفاظ كل من (سراب بقيعة) و(باسط كفيه إلى الماء). فلو أخذنا ألفاظ (سراب بقيعة) وقلنا أن السّراب شيء مادي يمكن أن يرى، فهو يخضع لحاسة البصر، وهذه اللفظة جاءت لتؤكد طبيعة الذين كفروا.

3- ما كان فيه المشبه حسياً والمشبه به عقلياً:

وهو التشبيه "الذي لا وجود له في الخارج، ولو وجد لأدرك بالحواس. وأظن أن الفرق بينه وبين الأمور الخيالية التي ألحقت بالمحسوسات ظاهرة، فالأمور الخيالية أجزاؤها التي ركبت منها، موجودة في واقع الناس ومدركة بالحواس، أما الوهمي فلا وجود له في الخارج، لا من حيث التراكيب، ولا من حيث الأجزاء"(3).

ولهذا يجد الباحث أن القرآن الكريم لم يستخدم التشبيه الخيالي إلا في آية واحدة، وهي في وصف شجرة الزقوم: يقول تعالى: **﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾**(4). فالمشبه به عقلي، وهو رؤوس الشياطين، والمشبه حسي وهو طلع الشجرة، فوجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو القبح وتشويه المنظر، والخيال هو

---

(1) الرعد 14.

(2) ينظر: سورة ابراهيم، 18، آل عمران 117، الفرقان 23، الحديد 20، العنكبوت 41.

(3) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان، عمان-الأردن، ط1، 1987م، ص26.

(4) الصافات 65.

رؤوس الشياطين وهي لم يراها الناس، فكيف يمكن تشبيه شيء بها؟ "و رؤوس الشياطين" يجوز أن يكون مراداً بها رؤوس شياطين الجن جمع شيطان بالمعنى المشهور ورؤوس هذه الشياطين غير معروفة لهم، وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوُصف للناس فظيعاً بشعاً، وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين"[1].

والمقصود من هذا النوع في هذه الآية تقريب حال المشبّه فلا يمتنع كون المشبه به غير معروف ولا كون المشبه كذلك، وهذا التشبيه التي وصفت بها شجرة الزقوم يبلغ حداً عظيماً من الذم[2].

إن مثل هذا التشبيه الذي يخترعه العقل، دون أن يكون له وجود في الواقع، وإنما هو اختراع من مخترعات العقل يسمّى في علم التشبيه بالتشبيه الوهمي.

4- ما كان طرفاه عقليّن:

بعد دراسة الآيات القرآنية المحسوسة الطرفين، والتي كان التشبيه فيها عقلياً بحسي أو حسياً بعقلي، لا بد من دراسة الآيات التي تحتوي على طرفين عقليّين، أي بمعنى أن المشبه والمشبه به لا يدركان بإحدى الحواس الخمس المعروفة، بل يدركان بالعقل، وهذا النوع من التشبيه أقل توافراً من القسم الأول والثاني، وتحمل عليها جميع الآيات التي شبهت الإيمان أو العلم بالحياة، والكفر أو الجهل بالموت، قال تعالى: **﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾**[3]. "ففي هذه الآية تقرير لحقيقة الضلال، وتصوير لحقيقة الإيمان، فالموت حقيقة معنوية جعل إلى جنبها الكفر، وكلاهما عقلي، والحياة حقيقية معنوية جعل إلى جنبها الإيمان، وكلاهما عقلي وقد أريد بهذين التعبيرين تقرير الحقيقة المطلقة التي يتسم بها الفريقان"[4].

---

(1) محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، الدار التنوسية للنشر، 1984، ص124.

(2) المصدر نفسه، ص124.

(3) الأنعام 122.

(4) محمد حسين الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.

ب- المفرد والمركب:

يكثر هذا النوع في تشبيهات القرآن الكريم، وذلك لخلوها من (وجه الشــبه) وهذا يسهل مهمة التركيب كما تمتاز أيضاً باحتوائها أكبر عدد مــن أدوات التشــبيه وبخاصة في التشبيهات المركبة، ومفهوم الأفراد في البلاغة ليس كالإفراد في علــم النحو.

أما التشبيه المركب، فهو يتكون من عدد من العناصر المتشابكة المتماســكة، مثل: هذا الرجل السمين الذي يرقص في الساحة يشبه الفيل في حلبة الألعاب، فصفة (الرجل) بالسمين والراقص في الساحة جعلته تشبيهاً مركباً[1].

ومن الطبيعي أن يتصف التشبيه بالفردية، سواء أكانت مطلقــة أم مقيّــدة أم متعددة، وهذا ما أورده صاحب الإيضاح في كتابه، فقال مثلاً: وهو باعتبار طرفيــه إمّا تشبيه مفرد بمفردٍ، وهما غير مقيّدين، أو مقيّدان، أو مختلفان، وإمّا تشبيه مركب بمركب، وإمّا تشبيه مفرد بمركب، وإمّا تشبيه مركب بمفرد"[2].

1- مفرد بمفرد:

وهو ما كان طرفاه مفردان، ويأتي للمقارنة بــين حالــة وحالــة، وصــورة وصورة، ودون سبغ صفات مركبة، تتحد بمجموعها لتمثل حالة واحدة[3]، ويتصــف هذا النوع من الإفراد المطلق في التشبيهات القرآنية بطابعين: طابع اللفظة الواحدة، وطابع اللفظتين للمعنى الواحد، ونأخذ منها على سبيل التمثيــل قولــه تعــالى فــي مخاطبة موسى -عليه السلام-: **﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَــا جَــانٌّ وَلَّــى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾**[4].ويتضح لنا أن إفراد اللفظة غير المقيد هي التي ميّــزت لفظــة (جان) لتقابل عصا موسى في طريقة اهتزازها.

---

(1) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج2، علم البيان، دار العلم للملايين، الطبعــة الأولــى، 1984، ص20.

(2) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص269-273.

(3) ينظر: النحل آية 17، السجدة آية 18.

(4) النحل 10.

وكما نأخذ في مجال الطابع الأول، قوله تعالى في وصف حالة السماء: ﴿**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ**﴾[1]. انفردت بخاصيتها المعروفة لتقابل لفظة السماء في ذوبانها وسيولتها أثناء قيام الساعة.

أمّا الطابع الثاني لهذا النوع المفرد المطلق، نجد فيه أن يختلف في شكليته عن الطابع الأول، نجد أن الإفراد المطلق فيه يتكون من لفظتين بدلاً من لفظة واحدة، فمثلاً لو أخذنا قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ**﴾[2] لوجدنا أن الطرف الثاني يتكون من لفظتين (تأكل، الأنعام) حيث لا نستطيع فصل كل لفظة عن الأخرى؛ لأن الآية تريد أن تبين الهدف والمغزى من الأكل، وأنه عند الكفار للإستمتاع والشهوةعلى العكس من أكل المؤمن؛ فشبهتها بطريقة أكل الأنعام مع اختلاف طبيعة كلاً منهما. الشيءنفسه ينطبق على قوله تعالى في وصف شجرة الزقوم: ﴿**كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ**﴾[3].

يكون التشبيه المفرد مقيداً أحياناً، فمن الطرفين المقيدين قوله تعالى: ﴿**وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً**﴾[4] فالجملة التشبيهية في هذه الآية تبدو مركبة من عدة ألفاظ، ولكن إذا حللنا هذه الصورة إلى مشبه ومشبه به وأداة تشبيه، وجدنا أن الألفاظ الأولى وهي (أغشيت، وجوههم)، تمثل في مجملها الطرف الأول أي (المشبه) بينما تمثل الألفاظ المتبقية (قطعاً، الليل، مظلماً) الطرف الثاني أي (المشبه به). وهذا التشبيه إذا نظرنا إلى طرفيه المشبه والمشبه به، نجد أن لفظة (الظلام) لليل أضيفت على شكل قيد يبين حالة الوجوه المراد تشبيهها بالليل.

والملاحظة نفسها تنطبق على قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ، تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**﴾[5].

---

(1) المعارج 8، ينظر: البقرة آية 187، النبأ آية 10.

(2) محمد 12.

(3) الدخان 42-43.

(4) يونس 27.

(5) القمر 20.

ويلاحظ أن أكثر التشبيهات القرآنية كان التشبيه فيها تشبيه مفرد بمفـــرد، ولا غرابة في ذلك لأن التشبيه المركب يحتاج من السامع إلى إعمال الفكر لفهم الصورة البيانية، بينما تكون الصورة في التشبيه المفرد قريبة من ذهن السامع.

3.2 أدوات التشبيه:

أداة التشبيه: وهي اللفظة التي تدل على المماثلة والمشاركة، وتقريب المشـبّه مـن المشبّه به من صفة:

وتأتي أدوات التشبيه من الأسماء، والحروف، ومن الأفعال.

أولاً: الأسماء، وهي: مثل وشبه وشبيه ومثيل وغيرها، وتأتي كلمة (مِثْـل) مفـردة ومجموعة، ومثالها مفردة قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَـا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا** ﴾[1]. ومن مجيء أداة التشبيه (مثل) مجموعة (أمثال) وتكـون دالة على التبشيه، قوله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْـأَرْضِ وَلا طَـائِرٍ يَطِيـرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ﴾. نلاحظ في هذه الآية أن هذه الدواب والطيور أمثـال البشر، ولكن هذه المماثلة لا تكون من كل الوجوه مثـل، الصـورة والصـفة والخلقة وهذا منافي لتكريم الإنسان.

ثانياً: الحروف: وهي بسيطة كالكاف وقد وردت في القرآن لإفادة معنى التشبيه في ما يقارب مائة وخمس تشبيهات[2]. في قوله تعالى: ﴿ **كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ** ﴾ وقوله: ﴿ **كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ** ﴾. وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونُـوا كَـالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً** ﴾[3] أو مركبة وهي (كأنّ) وتدخل على المشبه أو يليها المشبه، وهي تفيد التشبيه، سواء كانت مشددة النـون أو مخففتهـا، أو اتصلت بها (ما) الكافة أو لم تتصل. ومن هذا القبيل في شأن المنافقين: ﴿ **كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ** ﴾[4]. ومن أفادتها التشبيه وهي مخففة النون، قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا** ﴾، ومثال المشدودة قوله تعالى: ﴿ **طَلْعُهَـا كَأَنَّـهُ**

---

(1) البقرة: 275.

(2) ينظر شكل رقم (1)ص51.

(3) النمل: 92.

(4) المنافقون: 4.

رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[1]. ومن إفادتها التشبيه، وقد اتصلت بها (ما) الكافة قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[2]. ومثل الآية السابقة قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[3]، وقد وردت (كأن) في القرآن الكريم فيما يقارب من ثمانية وعشرين تشبيهاً[4].

وهناك خلاف بين العلماء حول (الكاف)في كونها اسماً أيضاً ومن أمثلة ذلك: 1 -مررت برجل كعمرو:وقعت الكاف اسماً في محل جر صفة لعمرو والمعنى مثل عمرو. 2-وما قتل الأحرار كالعفو عنهم :وقعت الكاف فاعلاً. 3-مررت بزيد كالأسد:وقعت الكاف في محل نصب على الحال من زيد. 4-مازيد كعمروولا شبيهاًبه ، و لاشبيهُ به ،فالكاف هنا خبر ما الحجازيّة أو التميميّة فيجوز العطف عليها شبيهاً به،وشبيهٌ به ،ولا يجوز الجر شبيهٍ.

وتأتي الكاف في القرآن أحياناً لا لهذا التشبيه الفني الخالص، بل لإيقاع التساوي بين أمرين، ومن أمثلة هذا اللون قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ، كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[5].

ومن كاف التساوي أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾[6].

---

(1) الصافات: 65.

(2) الأنعام: 125.

(3) الأنفال: 6.

(4) ينظر شكل رقم (2)

(5) التوبة: 68-69.

(6) النساء: 163.

كذلك في القرآن الكريم:

جاءت (كذلك) في القرآن للتشبيه عندما يراد بها عقد الصلة بين أمرين متشابهين، ولمسح ما بينهما من اشتراك، وبالتالي يؤدي التشبيه غرضه في إيضاح المعنى وتمكينه في النفس، ومثال ذلك في قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[1].

فالصلة وثيقة بين بعث الحياة في الموتى وبين بعث الحياة في الأرض الميتة، "والإشارة بـ (كذلك إلى الإخراج المتضمّن له فعل "فأخرجنا" باعتبار ما قبله من كون البلد ميتاً، ثم إحيائه أي إحياء ما فيه من أثر الزّرع والثمّر، فوجه الشبه هو إحياء بعد موت ولا شك أنّ لذلك الإحياء كيفيّة قدّرها الله وأجمل ذكرها لقصور الأفهام عن تصوّرها"[2].

فالتشبيه في الآية غير واضح ويتطلب من الدارس إمعان النظر إلى ما سبق هذه الأداة؛ لأن الأداة (الكاف) في (كذلك) قد صارت نموذجاً كاملاً، يمكن أن يتخذ مثالاً نسبة به سواه.

الأفعال: وهي: شُبّه، حسب، وخال، وظن، وجعل، وتشابه وغيرها ومثالها قوله تعالى: **﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾**[3].

ويصبح تقدير المشبه هو المسيح، عليه السلام، والمقتول هو مشبه به، ومثال حسب في القرآن الكريم، قوله تعالى: **﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾**

وقوله: **﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾**[4]. وقوله: **﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾**[5].

أما الفعل (جعل) فإنه يفيد التشبيه، ومثاله قوله تعالى: **﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾**[6].

---

(1) الأعراف: 57.

(2) تفسير التحرير والتنوير، ج8: القسم الثاني، الدار التتوسية، ص183.

(3) النساء: 157.

(4) طه 66.

(5) البقرة 70.

(6) الأنبياء: 215.

أي أنهم أهلكوا بذلك العذاب مثل الحصيد عندما يجف وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً﴾[1]. والمراد أنه تعالى شبه الليل من حيث إنه يستر الكل، باللباس الساتر للبدن.

تلاحظ أن أدوات التشبيه كثيرة أهمها (كأنَّ) وتدخل على المشبه غالباً، ولا تستعمل إلا حيث يقوى التشابه بين الطرفين، فهي أقوى من الكاف التي هي خاصة بالدخول على المشبه به غالباً[2]. والذي يرجح التشبيه أو عدمه في الأفعال التي تفيد التشبيه هو سياق الكلام ومعنى الجملة.

(1) الفرقان: 47.

(2) محمد رمضان الجزي، البلاغة التطبيقية، دراسة تحليلية لعلم البيان، منشورات ELGA-مالطا 2000، ص87.

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	17، 19، 165، 171، 183، 200، 259، 261، 264، 265، 275
آل عمران	36، 49، 59، 105، 117، 156، 162
النساء	47، 77، 89، 129، 163
الأنعام	20، 71، 94، 110، 122
الأعراف	176، 179
الأنفال	21، 47، 52، 54
التوبة	69، 69
يونس	24،
هود	24، 42
الرعد	14، 16، 17، 17، 19
إبراهيم	24، 26
النحل	17، 77، 92
الكهف	29، 45
الأنبياء	104،
الحج	47
النور	35، 39، 40، 63
الفرقان	44
العنكبوت	10، 41
الروم	28
لقمان	28، 32
السجدة	18،
الأحزاب	19، 32، 69
سبأ	13
ص	28، 28،

الشورى	32
الدخان	45، 46
الجاثية	21،
الأحقاف	35،
محمد	12، 14، 15
الفتح	29،
الحجرات	2
الذاريات	42
القمر	31، 50
الرحمن	14، 24، 37
الواقعة	23
الحديد	20، 21
الحشر	15، 16، 19
الصف	14،
الجمعة	5
القلم	20، 35، 48
المعارج	8، 9
المرسلات	32
القارعة	4، 5
الفيل	5

أدوات التشبيه حسب ورودها في القرآن:

أولاً: كاف التشبيه حسب ورودها في تشبيهات القرآن الكريم

شكل رقم (1)

اسم السورة	رقم الآية
1- البقرة:	101
2- المائدة:	32
3- الأنعام	125
4- الأعراف	171، 187
5- الأنفال	6
6- يونس	27
7- الحج	31
8- النّور	35
9- النّمل	10، 42
10- القصص	31
11- لقمان	7
12- الصّافات	49، 65
13- فُصّلت	34
14- الأحقاف	35
15- الطُّور	7، 20
16- القمر	7، 20
17- الرحمن	58
18- الصَّف	4
19- المنافقون	4
20- الحاقّة	7
21- المعارج	43
22- المدّثر	50
23- المُرسَلات	33
24- النازعات	46

شكل رقم (2)

ثانياً: كـــــأنَّ

4.2 التشبيه باعتبار الأداة:

أداة التشبيه عند البلاغيين لها مصطلحان هما: "مرسل" و"مؤكد" والمرسل: وهو ما كانت فيه الأداة مذكورة، "ويسميه بعض البلاغيين بالتشبيه مظهر الأداة"[1]. والناظر إلى القرآن الكريم فإنه يجد قرابة ستين تشبيهاً قرآنياً ذكرت فيه الأداةوحذف منه وجه الشبه، ومن الآيات التي حذف فيها وجه الشبه وذكرت فيها الأداة، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[2].فهنا ذكرت الأداة، ولم يذكر وجه الشبه الذي هو شدة الصوت.

أما التشبيه المؤكد: وهو الذي لم تذكر فيه الأداة، ويعده البلاغيون أبلغ لكونه أوجز، ولأنه قرّب بين المشبه والمشبه به فلا فائدة تذكر من ذكر أداة التشبيه، والناظر في الآيات القرآنية فإنه يجد قرابة ستة وأربعين تشبيهاً لم تذكر فيه الأداة، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[3]. فالتشبيه لم تذكر فيه الأداة ولا وجه الشبه وهو التساوي بين الدعاءين. ومن هنا لا يستطيع الدارس لتشبيهات القرآن الكريم أن يغض الطرف عن التشبيه البليغ، وهو ذلك التشبيه الذي اجتمع فيه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فبقي في التشبيه ركنان فقط هما المشبه والمشبه به. فيؤدي ذلك إلى قوة الصلة بين الطرفين في التشبيه[4].

وقد يأتي التشبيه من غير ذكر الأداة، ووجه الشبه، وللتشبيه البليغ في القرآن الكريم أو ضاع منها:

1- ما وقع فيه المشبه على صورة المبتدأ، والمشبه به على صورة الخبر: مثل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.

---

(1) محمد حسين الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، ص95.

(2) القمر: 50.

(3) الإسراء: 11، وينظر سورة النور36، الكهف29،الحجرالت2.

(4) ينظر شكل (5). الآتي ص59.

2- أن يكون المشبه به حالاً من المشبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ﴾[1].

3- أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع، قال تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[3].

وقد ورد التشبيه البليغ في هاتين الآيتين بإضافةالمصدر إلى المشبه به، ولكنه يأتي بغير إضافة المصدر إلى المشبه به، ومثاله في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[4].

وإذا ما توقفنا قليلاً عند الأدوات المستعملة في التشبيهات القرآنية لاحظنا أن أكثرها من التشبيهات المرسلة، وقد استعمل القرآن معظم الأدوات بأنواعهاسواء أكانت حروفاً كانت أم أفعالاً أم أسماء، غير أن أكثرهذه الأدوات استعمالاً (الكاف) ثم (مثل) ثم (كأنّ)،أما بقية الأدوات فكان استعمالها قليلاً.

(1) الأنعام: 91.

(2) الأحزاب: 33.

(3) محمد: 20.

(4) التوبة: 28.

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	74، 165، 171، 183، 200، 219، 261
النساء	77، 129
الأنعام	20
الأعراف	57، 179، 187
يونس	27
هود	24، 42
يوسف	6
الرعد	37
إبراهيم	24،26
النحل	77
طه	99
الشعراء	63
النمل	10، 42
القصص	31
العنكبوت	10
لقمان	7، 28،32
الأحزاب	69
سبأ	13
يس	39
الصافات	65
فصلت	34
الشورى	32

الدخان	45، 46
الحجرات	2
ق	11
الذاريات	59،44
الطور	24
القمر	20، 31
الرحمن	58، 14، 24
الواقعة	23
الممتحنة	13
المنافقون	4
الحاقة	7
المعارج	8، 9، 43
المرسلات	32
النازعات	46
القارعة	5،4
الفيل	5

التشبيه المرسل حسب وروده في القرآن الكريم

شكل رقم (4)

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	245 ،18،171،222،223
آل عمران	64،133
المائدة	20
الأنعام	32،39
الأعراف	203
التوبة	28،31،61،103
الرعد	26
إبراهيم	43
النحل	120
الكهف	96
الأنبياء	15
الحج	2
المؤمنون	41
الفرقان	23،47
النمل	88
القصص	43
العنكبوت	64
الأحزاب	6،33،46
يس	57
الصافات	49
الزخرف	10
الجاثية	8
اسم السورة	رقم الآية
الحجرات	10
الرحمن	37
الواقعة	55 ،6 ،5
المزمل	14
النبأ	20 ،19 ،10 ،7 ،6
المطففين	26

التشبيه البليغ حسب وروده في القرآن الكريم

شكل رقم (5)

5.2 التشبيه باعتبار وجه الشبه:

ووجه الشبه هو: المعنى الذي يشترك فيه المشبه والمشبه به. وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

1- مفصّل:

وهو ما ذكر فيه وجه الشبه ة، ويصعب على الناظر إلى التشبيهات القرآنية أن يجد آيات قرآنية مفصلة، قد لا يجد أكثر من عشرة تشبيهات ذكر فيها وجه الشبه[1].

يقول تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[3]، فهذه التشبيهات كلها مفصلة كذكر وجه الشبه والأداة صراحة في كل منها، فهو (مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها) في الآية الأولى و(الحب الشديد) في الآية الثانية.

2- مجمل:

وهو الذي لا يذكر فيه وجه الشبه، ومن خلال النظر إلى التشبيهات المجملة يلاحظ أن مجموعها يبلغ قرابة ستين تشبيهاً، وربما يعود سبب حذف وجه الشبه إلى أن القرآن الكريم كان هدفه إفهام الناس أمور دينهم، ولهذا جاءت التشبيهات القرآنية في هذا النوع بصورة يسهل على السامع تقدير وجه الشبه أو تصوره.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[4]. فوجه الشبه محذوف، وهو (شدة الغليان) وهنا لم يذكر صراحة على وجه الاشتراك بين الطرفين.

ومن التشبيه المجمل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[5]. فوجه الشبه محذوف، وهو (السرعة).

---

(1) ينظر: شكل رقم(6).الآتي ص68 .

(2) الأنبياء: 104.

(3) البقرة: 165.

(4) الدخان: 43-46.

(5) النحل: 77.

ويكون وجه الشبه المجمل من ناحية البعد والقرب على ضربين هما:

1- قريب مبتذل، وهو ينقل من المشبّه إلى المشبّه به من غير تدقيق نظر، لظهـور وجه الشبه في بادئ الرأي[1]. وهذا اللون لا يذكر في القرآن الكريم.

2- بعيد غريب: وهو بخلاف القريب المبتذل؛ لعدم الظهور، أو لكثرة التفصيل، أو ندور حضور المشبّه به[2]، ويعتمد هذا النوع على أعمال العقل في تدبر وفهـم وجه الشبه المحذوف كالتشبيه في قوله تعالى: **﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾**[3].

جـ - التمثيلي:

ينقسم التشبيه من حيث وجه الشبه إلى تمثيلي وغير تمثيلي، وتشبيه التمثيـل هو ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعددة يجمع بعضها إلى بعـض، ثم يستخلص من هذه الأشياء وجه الشبه.

ويجد الناظر إلى هذا اللون من التشبيه عدداً ليس بالقليـل[4]، إذ بلـغ عـدد الآيات القرآنية التي تشتمل على تشبيهات تمثيلية قريباً من ثلاثـة وثلاثـين تشـبيهاً موزعة على آيات القرآن الكريم، ولكثرتها يكتفي بالإشارة إلى بعضها. ومن الآيات التي تشتمل على تشبيه تمثيلي، قوله عزّ وجل: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِـعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾**[5].

فوجه الشبه أن المنفق ابتغاء مرضاة اللّه والتثبيت من نفسه هو في إخلاصـه وسخاء نفسه ،كالجنة الجيدة التربة الواسعة الملتفة الشجر ،العظيمة الخصـب فـي كثرة إحسانه.فهو يجود بقدر سعته، فالتشبيه التمثيلي في هذه الآية علاقة تقوم بـين طرفين كلاهما صورة.

---

(1) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبـد الحميـد هنـداوي، المكتبـة العصرية، بيروت، ج2، ص106.

(2) نفسه: ص107-108.

(3) الجمعة: 5.

(4) ينظر شكل رقم (7)،الآتي ص69.

(5) البقرة: 265.

وفي قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾(1).

فوجه الشبه منتزع من أحوال الحمار يحمل أسفاراً تضم المعارف والعلوم وثمار العقول، ولكن لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي تثقل ظهره، فالوجه استصحاب النافع مع كثرة الجهد والتعب في حمله من نفع(2).

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(3).

"تبدو علاقة المقارنة واضحة بين صورة الحياة الدنيا والماء النازل من السماء يروي الأرض، ويكسبها جمالاً وحياةً، ثم يتلاشى كل شيءٍ حين يقضي الله أمره فيها كأنها لم تكن"(4).

فنلاحظ في تشبيه التمثيل في هذه الآيات بأنه صور للوحات متقابلة ومنسجمة في إطارها وألوانها وعناصرها إلى حدٍّ كبير، وأن تلك اللوحات الفنية تستلهم مادتها وعناصرها من الطبيعة، ولهذا فإن تشبيه التمثيل أبلغ وأشمل من المفرد، ولأنه يبعث الصورة حيّة نابضة فيبدو الكلام مؤنقاً لطيفاً يسحر الألباب ويشحذ الأذواق، تشبيه التمثيل –إذن– له ضوابط منها:

أ– التداخل والتركيب، بمعنى أن جميع أجزاء النظم تتدخل في تكوين التشبيه وتشكيله.

---

(1) الجمعة: (5).

(2) أسرار البلاغة: ص93-94.

(3) يونس، الآية 24.

(4) الما سليمان المحمد، الصورة الفنية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1995.

ب- الألوان الممزوجة، فغالباً ما نجد ألواناً مميزة توحي لنا بجمال الطبيعة أمّا تشبيه غير التمثيل: فهو عكس التمثيل، وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من مجموعة أشياء بل يكون وجه الشبه فيه أمراً واحداً[1].

وقد فرّق الجرجاني بين التشبيه وتشبيه التمثيل، وبيّن أن التشبيه أعم والتمثيل أخص[2]، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلاً، لأن التمثيل لا بد فيه من التأويل، ولكنه عندما أراد أن يفرق بينهما نظر إلى وجه الشبه، فلاحظ أن وجه الشبه صورة تطغى العلاقة الحسية على الطرفين.

وقد قسّم الجرجاني وجه الشبه إلى أقسام ثلاثة، فالقسم الأول: وهو ما كان وجه الشبه فيه حسياً، مثل تشبيه الشعر بالسواد، فوجه الشبه في هذا التشبيه محسوس يمكن رؤيته بالعين المجرّدة.

أمّا القسم الثاني: ما كان وجه الشبه فيه عقلياً لا يحتاج إلى تأويل، مثل: الشجاعة والكرم، فعندما نقول خالد كالأسد في الشجاعة، فإن الشجاعة ليست من الأمور المحسوسة وإنما هي أمر عقلي، لا يحتاج إلى ضرب من التأويل.

أما ما كان وجه الشبه فيه عقلياً يحتاج إلى تأويل؛ لأن "المشبه به، يختلف عن وجوده في "المشبه" وهو القسم الثالث عند الجرجاني الذي يعدّه من باب التمثيل، ومثال ذلك "كلامك كالعسل في الحلاوة"، "رمشها كالسيف في الحدّة".

واللفظ في قولنا "لفظ كالعسل" يشارك العسل في الحلاوة، والحلاوة في العسل هي وصف حقيقي أما الكلام فلا يوصف بها إلا بعد ضرب من التأويل؛ لأن الحلاوة مما يميل إليه الذائق في نفسه من اللذة، فإذا وصف الكلام بها فإنهم يريدون ما ينتج عنها من أثر عند وقوع اللفظ في نفسه.

(1) جواهر البلاغة: ص234.
(2) أسرار البلاغة: ص84.

6.2 التشبيه الضمني

التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التراكيب، وهذا الضرب من التشبيه يُؤتى به ليفيد أن الذي أسند إلى المشبّه ممكن"[1].

ومن بواعث التشبيه الضمني: التفنن في أساليب التعبير والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبّه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه[2].

ومن هذا قوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ، إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾[3].

لقد جاء في التعبير عن الحياة بعد الموت بالنشر، تشبيه للموت بأنه طيٌّ لحياة الإنسان، كما تطوى الصحف على ما ضمت عليه من كلمات. فإذا أريد النظر في هذه الكلمات مرة أخرى، نشرت هذه الصحف، بعد طيها .. فالموت ليس إلاّ طيّاً لصفحة الحياة، مع بقاء الحياة كامنة في هذه الصحف المطوية، ونشر الصحف بعد طيها أمر هين، لا يحتاج إلى عناء ومعالجة، كما أنه لا يدعو إلى استبعاده وإنكاره، فالمشبه الحياة بعد الموت، والمشبه به الصحف التي تطوى ثم تنشر[4].

ويتبين لنا أن نشر الصحف بعد طيها أمر هين لا يحتاج إلى عناء ومعالجة وهذا يعني الأسلوب من التشبيه السابق فيه عمق الفكرة، وغزارة المعنى، ووضوح الاقناع، فالمتأمل في التشبيه السابق، يلاحظ أن للموت وقع خاص في نفس الإنسان ومدى قوة تأثير صورة الصحف التي تطوى ثم تنشر. وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة وليس على صورة من صور النسبية المعروفة.

---

(1) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية- بيروت، ط1-1999، ص242.

(2) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد: ص48.

(3) الدخان آية 34-35.

(4) من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث، بدرية بنت محمد بن حسن العثمان، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1417هـ، ص431.

وأما منهج القرآن الكريم في التشبيه الضمني فهو تشبيه مئة بالمئة من التوكيد، لأن الله تعالى يحيط بالمكان والزمان ليتنزل بالمقدمات تنزلات الحق، وإذا فإن مقدمات التشبيه الضمني بالقرآن لهي أحكام وتقرير[1]. ومن التشبيه الضمني في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2]. فهنا شبه رب العالمين ضمناً مغتاب أخيه المسلم بمن يأكل لحمه وهو جيفة. وإذا كان الناس لا يناقشون في كراهية المشبه به، فعليهم أن يسلموا بكراهية المشبه، ونلاحظ أن هذا النمط من التشبيه الضمني يكون في المواقف سواء من حيث التصديق أو عدم التصديق[3].

ومن التشبيه الضمني في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[4]. أي لا يدخلون الجنة بحال من الأحوال إلا إذا أمكن دخول الجمل في ثقب الإبرة، وهو تمثيل للاستحالة.

7.2 التشبيه المقلوب:

تناول ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) لهذا النوع من التشبيه وقال: "واعلم أن من التشبيه ضرباً يسمى "الطرد والعكس" وهو أن يجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به وبعضهم يسميه "غلبة" الفروع على الأصول" ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة"[5].

والأصل في هذا التشبيه أن يجري على الطرق المألوفة عند البلاغيين. والذي يتمثل في أن يُلتمس المشبّه به مما هو معروف ومألوف في حياتهم حتى لو كان المشبه أقوى في الصفة التي يشترك فيها مع المشبّه به.

---

(1) محمد علي أبو حمدة، من أساليب البيان في القرآن الكريم، مكتبة الرسالة عمان، ط2، 1983، ص123.

(2) الحجرات: 12. ينظر: لقمان آية رقم (9).

(3) أبو حمدة، من أساليب البيان، ص124.

(4) الأعراف: 40.

(5) ضياء الدين بن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري، ت: 637هـ المثل السائر في أدب ا لكاتب والشاعر ، ج1، ص400.

وقد سلك القرآن بلا شك أقوى السّنن، فشبه نور الله سبحانه وتعالى وهو بلا شك أقوى الأنوار، بنور المصباح في مشكاة، لأن العرب جروا على عادة أن يجعلوا نور المصباح أكبر الأنوار وأعظم الأضواء[1]. قال تعالى: **﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾**[2].

وكقوله تعالى حكاية عن الكفار **﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾**[3] في مقام أن الربا مثل البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحلُّ من البيع، لأن الغرض الرِّبح وهو أثبت وجوداً في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحلِّ عندهم[4].

ومن خلال هذه النظرة السريعة لأكثر أنواع التشبيهات القرآنية استعمالاً نجد أن الهدف الأسمى في القرآن الكريم، هو توضيح الأحكام الدينية وتقريب المعنى المراد إلى أذهان سامعيه، من خلال صورة تشبيهية واضحة لا تعقيد ولا غرابة فيها، بعيدة كل البعد عن التكلف والصنعة، ولجلاء بعض هذه الخصائص ووضوحها، نجد ضرورة ملحة تدفعنا نحو دراسة أغراض التشبيهات القرآنية وخصائصها.

---

(1) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص46.

(2) النور، الآية 35.

(3) البقرة: 275.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم: ص452.

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	146، 165
النساء	163
الكهف	29
الأنبياء	104
الفرقان	44
القصص	63
الصف	4
الإنسان	19
المرسلات	33

التشبيه المفصّل في القرآن الكريم

شكل رقم (6)

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	17، 19، 200، 264، 265
آل عمران	117
النساء	176
الأنعام	6
الأنفال	6
الرعد	14، 17
ابراهيم	18
النحل	92
الكهف	32، 45
طه	131
الحج	31، 73
النور	35، 39، 40
العنكبوت	41

لقمان	22
الأحزاب	19
الزمر	29
الفتح	29
الحجرات	12
الحديد	20
الحشر	16
الجمعة	5
التحريم	10، 11
المدثر	50، 51

التشبيه التمثيلي حسب ذكره في القرآن الكريم

شكل رقم (7)

اسم السورة	رقم الآية
البقرة	275
القلم	35
النحل	17
ص	28

التشبيه المقلوب حسب ذكره في القرآن الكريم

شكل رقم (8)

اسم السورة	رقم الآية
1- الدخان	34، 35
2- الحجرات	12
3- لقمان	9
4- الأعراف	4

التشبيه الضمني حسب ذكره في القرآن الكريم

شكل رقم (9)

فأعمال الكافرين من الأمور المعنوية، فجاءت في معرض الحس والمشاهدة. فمرة يشبه بأنه السراب الخادع الذي يراه الناس كثيراً ويطمئن له الإنسان الذي يراه في الصحراء، ومرة بأنها الظلمات المتراكمة في البحر اللجي لا يتبين منها شعاعاً من نور الحق، ونلاحظ في الآيات القرآنية تشبيه صور حسية تراها الأعين وتطمئن إلى وقوعها، وتزيل كل شك أو تردد في ذهن السامع بمصير الكافرين(1).

3- **بيان مقدار صفة المشبه من الزيادة أو النقصان أو القوة أو الضعف(2).**

وذلك إذا كان المشبه يعرف حال المشبه قبل التشبيه معرفة إجمالية، ولكن لا يدري مقدار هذه الصفة، فيأتي التشبيه يبين مقدار حال المخاطب.

كقوله تعالى: **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾** (3)

فالإنسان في الآية الكريمة يعلم أن الجبال تمر بسرعة، ولكن لا يدري مقدار السرعة تلك بسرعة مرور السحاب.

وكقوله تعالى: **﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.**

ويشترط في هذا اللون من التشبيه أن يكون المشبه به أشهر عند المخاطب من المشبه حتى يحدد قدره.

4- **بيان إمكان وجود المشبه:**

وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدّعى امتناعه.

---

(1) يوسف أبو العدوس، البلاغة العربية، المكتبة الوطنية، 2004م، ص171-172.

(2) عبد الفتاح الاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، 1984، ط1، ص84.

(3) النمل: 88.

5- تزيين المشبه:

وذلك بتزيين المشبه وتجميله في صورة تهواها النفس، كقوله تعالى:﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ۞ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ... ۞ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴾[1]

ويقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۞ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۞ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۞ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ ۞ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۞ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ۞وَحُورٌ عِينٌ ۞كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۞ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2] .

وكقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[3].

فالمشبه في الآيات السابقة، ظهر في صورة ترغبها النفس، لتزيين المشبه في عين المخاطب.

6- تقبيح المشبه [4]:

ويقبح المشبه بإلحاقه بمشبه به في صورة قبيح ومكروه تتقزز منها النفس، ليتخيله المخاطب كذلك فيصد عنه، وقد حفل القرآن بكثير من هذه الصور ليقبح الاعتقادات الباطلة ويبقى الاعتقادات التي تعودوها في جاهليتهم، كقوله تعالى في تصوير آكل الربا بصورة منفره يظهر بصورة من أصابه مس من الشيطان، فهو لا ينهض حتى يسقط فيقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [5]

ويقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾[6]

---

(1) الطور: (17-24).

(2) الواقعة: (10-24).

(3) الرحمن: 58.

(4) عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن.ص87.

(5) البقرة: 275.

(6) محمد: 12.

هذا الساري قد أوقد ناراً تضيء طريقه فعرف أين يمشي ثم لـم يلبـث أن ذهب الضوء وشمل المكان ظلام دامس لا يدري السائر فيه أين يضع قدمـه، حتى يرتد خطوات، قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾[1].

وإذا استحضرنا صورة هذا السائل (صيِّب) من المطر قد صـحبه ظلمـات ورعد وبرق، أما الرعد فيبلغ في الشدة درجة يود اتقاءه بوضع أصابعه إذ اسـتطاع في أذنه أما البرق فيكاد يخطف البصر أما الظلمات فتحول بين السائل وبين الاهتداء إلى سواء السبيل ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[2].

سادساً: القرآن الكريم حين يشبه محسوساً بمحسوس يرسم صورة تحس بها الـنفس، لتحدث أثرها في نفوس المخاطبين[3].

ومن هذه المشاهد التشبيه الحسي الذي يظهر في القرآن أروع تصوير وتتفتح فيه حرارة الحياة، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُـرٍ، خُشَّـعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِـينَ إِلَـى الـدَّاعِ يَقُـولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[4].

كما يرسم لنا التشبيه مشهداً مختصراً وسريعاً ولكنه شاخص مكتمل الـسمات ومثله قوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَـالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[5].

سابعاً: كثر في القرآن إيضاح الأمور المعنوية بالصـورة المرئيـة المحسوسـة[6]، فتصبح شديدة الأثر، تكشف خبايا الـنفس الإنسـانية، تجعـل المحسـوس محسوساً شاهداً في المخيلة: قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّـهِ

---

(1) البقرة: آية 17.

(2) البقرة: آية 17.

(3) من بلاغة القرآن، ص 192.

(4) القمر: 6-8.

(5) القارعة: 1-5.

(6) من بلاغة القرآن، ص193.

أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1]. فالقرآن يمثل ما اعتمد عليه المشركون من عبادتهم غير الله، فهم يعبدون ويبذلون جهداً يظنونه مثمراً وهو لا يجدي، بصورة العنكبوت ذلك الحيوان الذي تعب نفسه في البناء، وهو لا يبني سوى أوهن البيوت وأضعفها فقرن تلك الصورة المحسوسة إلى الأمر المعنوي، فزادته وضوحاً وتأثيراً.

ثامناً: التشبيه في القرآن تعود فائدته إلى المشبه، تصويراً له وتوضيحاً، ولهذا كان المشبه به دائماً أقوى من المشبه وأشد وضوحاً[2]، وهذا ما يظهر في التشبيه المعكوس، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]. فيبدو أن المشبه وهو نور الله أقوى من مصباح هذه المشكاة، ونرى أن النور المراد هو النور الذي يغمر القلب.

تاسعاً: إن تشبيهات القرآن الكريم، كانت بعيدة عن ترف الخيال والعاطفة، وفحش القول، فهي عناصر أساسية في الموضوع وأجزاء رئيسية في الجملة.

عاشراً: إن التشبيهات في ما مضى كان منها ما يأتي للإيجاز والاختصار فهو عنصر أساسي لا يستغنى عنه.

ويبدو لنا مما تقدم أن أجمل التشبيهات في البيان العربي هي تلك التشبيهات التي وردت في القرآن الكريم، ذلك أن القرآن الكريم عربي من حيث الأسلوب، ومن حيث النظم.

---

(1) العنكبوت: 41.

(2) من بلاغة القرآن، ص194.

(3) النور: 35.

الفصل الثالث

مضامين التشبيه

1.3 الإنسان في تشبيهات القرآن الكريم:

ينظر القرآن الكريم للإنسان نظرة واقعية من خلال طبيعته المزدوجه التي تقبل السمو والتحليق، كما تقبل الهبوط والتدني، ففي النفس الإنسانية هذه الخطوط المتقابلة فيها القوة والضعف والسمو والهبوط والهدى والضلال والشجاعة والخوف.

فهنالك نماذج كثيرة في القرآن الكريم منها مؤمنة وكافرة ومنافقة، وهذه النماذج تمثّل القوة وأخرى تمثل الضعف من الرجال وأخرى من النساء ثم هناك نماذج الجنس البشري ونماذج تمثل طبقة أو فئة من الناس[1].

أولاً: الإنسان المؤمن.

كثر تشبيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في القرآن الكريم[2]، وجاءت هذه التشبيهات على شكل سلبي وهي ما وردت على ألسنة الكافرين وأعداء الرسل. أمّا التشبيهات الإيجابية وهي ما كانت من الله سبحانه وتعالى، أو على ألسنة الأنبياء والسابقين.

ولقد كثر تشبيه الرسول –عليه الصلاة والسلام– من قبل الكفار بصفات سلبية، منها تشبيه الرسول بالساحر، قال تعالى:﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ**﴾[3]. يشير الكافرون إلى دلالة التشبيه في عقدهم مشابهة بين الطرفين، فهم يشيرون إلى قوة تأثير النبي (صلى الله عليه وسلم) على عقول الناس بفصاحته وبيانه بحال الساحر يؤثر في الناس. وقد خاب اعتقادهم، لأن الله يؤيده وينصره حتى يعينه على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة[4].

---

(1) ألما سليمان المحمد، الصورة الفنية في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1995م، ص115.

(2) ينظر سورة إبراهيم 10-11، الأنبياء: 43، الشعراء: 154، يس: 15، الكهف: 110.

(3) يونس: 12.

(4) هناء حسين البلبيسي، صورة الإنسان في تشبيهات القرآن، رسالة ماجستير، جامعة القدس، 2001م،ص84.

كما وشبه الكافرون الرسول بالشاعر، يقول تعالى:﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ ﴾. فقد شبه الكفّار الرسول بالشاعر، والتشبيه بليغ لعدم ذكر أداة التشبيه ووجه الشبه، وفي هذا التشبيه عدّ الكفار كلام الله سبحانه وتعالى شعراً، لأنه كلام جميل تميل إليه قلوب السامعين، والهدف من تشبيه الرسول بالشاعر هو أن يسلبوا محمد (صلى الله عليه وسلم) صفة الاصطفاء والاختيار. وهم يرفضون الاعتراف برفعة منزلة الأنبياء والرسل.

ولقد شبه الكفّار الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالكاهن. ولكن الله سبحانه وتعالى نفى عنه صفة الكهانة وغيرها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [1].

وهذا النوع من التشبيه يعرف بتشبيه السلب، لأنه يشبه فيه الأعلى بالأدنى، والحق سبحانه وتعالى نفى عنه هذه التهمة كما نفى عنه تهمة الجنون يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [2]. ولقد شبهوا الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بالمجنون، وقد شبهت الأقوام رسلهم بالمجانين لمخالفتهم أقوامهم بالفكر والسلوك.

كما وردت تشبيهات للرسول (صلى الله عليه وسلم) إيجابية ومنها تشبيه الرسول بالسراج المنير، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ [3]. ذكر لنا خمسة أوصاف هي: شاهد، ومبشر، ونذير، وداع إلى الله، وسراج منير، فهذه الأوصاف ينطوي إليها مضامين مجامع الرسالة وهو وصف تعلقات رسالته بأحوال أمته وأحوال الأمم السابقة. وقوله "وسراجاً منيراً" تشبيه بليغ، أي أرسلناك كالسراج المنير في الهداية الواضحة التي لا لبس فيها والتي لا تترك للباطل مجالاً إلا فضحته، كما يفيء السراج الوقّاد ظلمة

---

(1) الطور: 29. ينظر الحاقة: 42.

(2) سورة الحجر: 6. ينظر القمر: 9، القلم: 2. الدخان: 14.

(3) الأحزاب: 45-46.

المكان، وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) من البيان وإيضاح الاستدلال وانقشاع ما كان قبله[1].

ووصف السراج ب(منيراً) مع أن الإنارة من لوازم السراج هو كوصف الشيء بالوصف المشتق من لفظه في قوله تعالى: شعر شاعر، وليلٌ أليل، لإفادة قوة معنى الاسم في الموصوف به والخاص فإن هدى النبي (عليه الصلاة والسلام) هو أوضح الهدى[2].

كمانهي الرسول –عليه الصلاة والسلام–عن أن يتعامل كما تعامل صاحب الحوت مع قومه، يقول تعالى: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾** [3].

هذه الآية تدعو الرسول عليه الصلاة والسلام على المصابرة واستمراره على الهدي، وتعريفه بأن ذلك التثبيت يرفع درجته في مقام الرسالة ليكون من أولي العزم، نذكره بمثل يونس عليه السلام إذ استعجل عن أمر ربه، فأدبه الله ثم اجتباه وكان عليه وجعله من الصالحين تذكيراً مراداً به التحذير[4]. والتشبيه مرسل مجمل، وتقديره لا يكون حالك مع قومك كحال يونس مع قومه حين تركهم مغاضباً ولم يصبر عليهم.

ويشبه القرآن الكريم استقامة الرسول –عليه الصلاة والسلام– وهي المعلومة لديه، وهي الالتزام من خلال الأحكام والتوجيهات الربّانية، يقول تعالى:**﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾** [5]. وتأتي هذه الآية لتوضّح للنبي الأمي أن الله قد اختاره على فترة من الرسل ليحمل للبشرية دعوته الجديدة مشتملة على أصول الإيمان والأحلام والعدل والإحسان[6]. وهو تشبيه مرسل مجمل.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص52.

(2) نفسه: 55.

(3) القلم: 48.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص104.

(5) الشورى: 15.

(6) عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، م13، ص49510.

ومن الملاحظ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تم تشبيهه من قبل الكفار بأوصاف إيجابية وأوصاف سلبية، وفي تعداد تشبيهاتهم السلبية للرسول (صلى الله عليه وسلم) يظهر فيها اضطراب واضح في موقفهم منه ومما جاء به، وفيه أيضاً تكذيب لأنفسهم لأنهم لم يستطيعوا أن يستقروا على قرار بشأنه[1].

ويلجأ التشبيه في القرآن الكريم إلى تشبيه الإنسان المؤمن بلغة خطاب تتناسب مع الفئة المخاطبة، وهذه من سمات البلاغة القرآنية، وتظهر هذه السمة في قوله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [2] حيث جاء الخطاب في هذا التشبيه بالترغيب للمؤمنين في أداء الفرائض، وهدوء الخطاب يتلاءم مع الغرض منه. أما عن تشبيه صيامهم بصيام أهل الكتاب فجاء ذلك تشجيعاً لهم على صيام شهر رمضان.

ثم تتوالى التشبيهات لتكتمل صورة المؤمنين، وتزداد الثنائية في قوله تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾** [3].

شبه الله المؤمنين أصحاب النبي (صلى اللّه عليه وسلم) إذ خرج النبي (صلىاللّه عليه وسلم) وحده ثمّ قوي بالأصحاب، يعني أنهم يكونون قليلاً ثم يزدادون ويكثرون، كزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً، فيقوى حالاً بعد حال حتى يغلظ نباته وأفراخه. وجاء هذاالخطاب في هذه الآية الكريمة بهذه الصورة اللطيفة، ليرد على كيد قريش في استهزائهم بالرسول ووصفهم إياه بالضعف، والتشبيه في الآية من أوقع التشبيهات وأوضحها، وهو تشبيه تمثيل لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد[4].

(1) هناء حسين البلبيسي، صورة الإنسان في تشبيهات القرآن، ص85.

(2) سورة البقرة: 183.

(3) سورة الفتح: 29.

(4) ابن ناقيا، عبد الله البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، ص313-314.

وفي سياق آخر يرق التعبير البياني، ويوظف الألفاظ اللطيفة اللينــة عنــدما يخاطب المؤمنين الذين يؤدون الفرائض في قوله سبحانه: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّــهَ كَــذِكْرِكُمْ آبَاءَكُم﴾ [1] والتشبيه هنا بذكر الآباء، لأنه يلامس القلوب الإنسانية، وكذلك يجب أن يكون ذكر الله تعالى كذكر الآباء في الكثرة.

ثم تتوالى التشبيهات القرآنية لتكتمل صورة المؤمنين، وتزداد الثنائية وضوحاً في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئتم﴾[2] والتشبيه هنا بليغ، فلم يقل: نساؤكم كالحرث، لتقريب هذه الصورة وتأكيدها في الأذهان، واستخدام الحرث في هذه الصورة له دلالته، فالمناسبة مناسبة إخصاب وتوالــد ونمــاء. وقــد جــاء الخطاب للمؤمنين بغير واسطة تشريفاً لهم، ورفقاً لمكانتهم.

وشبه الله تعالى نجاة النبي (محمد) (صلى الله عليــه وسـلم) وأتباعــه مــن المؤمنين بنجاة الرسل السابقين، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَــذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [3] وهو تشبيه عقلي بعقلي. أي: كما أنجــى الله الأنبيــاء والمؤمنين مما أصاب أقوامهم، كذلك ينجي المؤمنين معك أيهــا الرســول، ويهلــك المصرين على تكذيبك[4].

ويقول تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [5].

وعند التدقيق في الآية الأولى يظهر معنى النجاة ألا وهو هلاك وفناء، أما في الآية الثانية في نفس السورة فإن النجاة هي غم وهم وضيق. وجــيء بالتشــبيه لإغــراء المؤمنين حتى يدعوا به كلما ضاقت بهم السبل، ومعنى ﴿لا إِلَهَ إِلَّا أَنْت﴾ فإنه لم يدع

(1) البقرة:103.

(2) البقرة: 223.

(3) يونس: 103.

(4) عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، م6، ص2127.

(5) الأنبياء: 87-88.

بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، وعن النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له"[1].

وهنالك تشبيه يصور الصحابة التي جادلت الرسول (صلى الله عليه وسلم) قبل القتال في معركة بدر، وتبين هذه الآية فساد رأي هذه الطائفة، وعرف المسلمون بعدها الخير العميم. يقول تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [2].

يقول ابن عاشور: "كأنما يساقون إلى الموت تشبيه لحالهم في حين المجادلة في اللحاق بالمشتركين بحال من يحاول ويمانع من يسوقه إلى ذات الموت"[3].

"وقد شبه الله تعالى الذين آمنوا في صبرهم بامرأة فرعون -آسية بنت مزاحم- التي آمنت بالله وكتبه ورسله، واهتدت بفضله إلى الإسلام، فعبدت الله من خلال إسلامها، برغم أنها كانت تحت عدو من أعداء الله طاغية جبّار،والذي يدّعي بأنه إله، ولكنها رفضت ذلك منه ومن ادعائه، وسخرت من سفاهة قوله وعبادتهم، فظلت على إسلامها وإيمانها الصادقين، حتى تبينت حقيقتها لفرعون زوجها، فنهاها عن ذلك كونها زوجته، إلا أنها لم تخضع لأمر زوجها لأنها مؤمنة بالله خالقها، فخاف فرعون من أمرها، فعذبها عذاباً شديداً"[4].

يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [5].

ويعد التشبيه في الآية السابقة من التشبيه التمثيلي، لأن وجه الشبه فيها صورة منتزعة بضرب من التأول، وهو: كون المؤمن إذا اتصل بكافر، وهو محافظ على دينه ولم يتبع ما دعا إليه صاحبه إلى الكفر لم يضرّه شيء عند الله تعالى كما كانت حال آسية بنت مزاحم امرأة فرعون مع زوجها، لم يضرها شيء عنده تعالى لعدم طاعتها إياه في الكفر.

---

(1) الزمخشري، الكشّاف، ج3، ص132.

(2) الأنفال: ص6.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج5، ص268.

(4) أحمد الكاف، صورة الإنسان في التشبيهات القرآنية، ص107.

(5) التحريم: 12.

ونجد أن القرآن الكريم يرغب المسلمين كي تكون نفقتهم خالصة لوجـــه الله تعالى، حيث يتم تقديم المغريات للإنسان المسلم لينفق في سبيله عن طيـــب خـــاطر، ومن هنا جاء الخطاب مشوقاً من خلال صورة المشبه به لبيان أهمية النفقة في سبيل الله عز وجل.

يقول تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (1).

والخطاب في هذه الآية يبدأ بالحض والحث على الإنفاق بالتكليف والفـــرض لذا جاء الخطاب في هذه الآية هادئاً في هذا التشبيه الذي يعرض لنا صورة الحيـــاة المعتادة، فالإنفاق في سبيل الله يرده الله مضاعفاً، وما دام الله يضاعفه فهـــو يزيـــد، وهذه الآية تعالج قضية الشح في النفس الإنسانية، فقد يكون عند الإنسان شيء زائد، وتشح به نفسه ويبخل، والتشبيه تمثيل، لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد.

وفي السياق نفسه نلاحظ استخدام أسلوب خطابي مختلف عندما يتحدث عـــن الذين ينفقون إيماناً وتقوى في قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُـــونَ أَمْـــوَالَهُمُ ابْتِغَـــاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِـــعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾(2).

والتشبيه يحمل بين طياته الهدوء والترغيب، فالمشبه هنا نفقة أولئـــك الـــذين ينفقون ابتغاء مرضاة الله، والمشبه به هو جنة في مكان مرتفع أصابها مطر شـــديد، فازداد محصولها ضعفين، فجاء التشبيه صورة حية، تزداد قوة عندما يصيبها الوابل لتأتي بثمارها مضاعفة(3).

---

(1) البقرة: 261.

(2) البقرة: 265.

(3) حفني محمد شرف، الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق، دار النهضة، مصر للطباعة والنشـــر، 1965م، ص183.

كما وتتكرر الثنائية المعنوية، عندما يكون الإنفاق في سبيله عز وجل والخطاب فيه للمؤمنين، وثنائية الربا والخطاب فيه للكافرين.

يقول تعالى:﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾[1].

وهذا التشبيه هو تشبيه مقلوب جاء على لسان آكلي الربا، "وكان القياس أن يقولوا:" أنما الربا مثل البيع"، يريدون قياساً... إما بالطرد، وإما بالعكس"[2].

أما أولئك الذين ينفقون رياء الناس أمام الناس وفخراً، شبههم القرآن بزرع جاءته ريح شديدة فأهلكته، لم يبق فيه شيئاً، قال تعالى:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [3].

"الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر، والكلام غير مطابق الغرض جعل ما ينفقون ممثلاً بالريح. قلت: هو من التشبيه المركب"[4].

ويمتاز الخطاب في هذا التشبيه بالترهيب والتحذير، حيث تأتي الصورة منفرة، ليبتعد الناس عن التعامل بالربا، وكذلك عدم الإنفاق من أجل التنافر والتباهي أمام الناس.

والمتأمل في الآيات التشبيهية التي تدعو إلى الإنفاق في سبيل الله يجد أن أغلبها في سورة البقرة، فيلعب التشبيه دوراً بارزاً في تحريك النفس الإنسانية وحثها على الإنفاق في سبيل الله، حيث تتفاعل مع الجو الداخلي عند الإنسان حين يرى أن الأجر مضاعف بلا حدود فيدفعه نفسياً إلى الإنفاق والبذل والعطاء في سبيل الله، وبالتالي يتخلص من حب الدنيا التي طبعت النفوس عليها، ولهذا أيضاً كانت بعض الآيات تركز على الباعث النفسي لهذا الإنفاق، فإن كان رياءً جاء التشبيه ليصور قبحه.

---

(1) البقرة: 275.

(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي، م2، ص1193.

(3) آل عمران: 117، ينظر: البقرة: 275، 264.

(4) الزمخشري، الكشاف، ج1، ص434.

فالتشبيه في القرآن يستثمر مسألة تعلق النفس ببعض الأساسيات فنلحظ أن المشبه به في الغالب يكون مما له تعلق أساسي بالنفس الإنسانية ويصعب التخلي عنه.

ثانياً: الإنسان الكافر.

لقد كثر التشبيه في القرآن الكريم في الآيات التي تتحدث عن تشبيه الكافرين، فجاءت متعدده تحمل في طياتها الوعيد والتهديد والشدة والقسوة، ومن هنا اختلفت صور التشبيه باختلاف الأغراض، يقول الله تعالى في وصف نموذج الكفار محقراً لهم:**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾** (1). فالصورة المحقرة لشأنهم لأنهم عطلوا أدوات المعرفة لديهم، فهم يعيشون ليأكلوا وهي أقرب إلى صورة الأنعام التي تأكل من أجل أن تملأ بطونها.

وفي سياق آخر يشبه القرآن الكريم الكفّار في صورة جماعية ضمن مشهد شاخص، يقول تعالى: **﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾** (2) حيث يصور هذا المشهد حركة الكافرين وهم مسرعون في طريق الكفر ماضون فيه وكأنهم يسعون إلى غاية يريدون أن يصلوا إليها فهم في حلبة السباق يسرع كل منهم قبل الآخر، فتتلاشى صورة الكفر بما فيها من سرعة واندفاع لضعفها أمام الصورة المقابلة الممتلئة قوّة بأن الله لن يضره كفرهم.

كما يشبه الله سبحانه وتعالى –إعراض الكافرين عن الحق والابتعاد عنه بحال الحمر الوحشية النافرة من أسد الغابة خشية أن يفترسها وهذه الصورة نجدها في قوله تعالى: **﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ، كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** (3).

ثم يصور القرآن الكريم قلوب بني إسرائيل في قوله تعالى:**﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾** (4). فجاءت آيات التشبيه في معرض حديثها

---

(1) محمد: 12.

(2) آل عمران: 176.

(3) القيامة: 49-51.

(4) البقرة:74.

عن اليهود بشكل غير مباشر بل كانت تتحدّث عن أفعالهم بأسلوب الغائب تحقيراً لهم.

ويشبه الكافرين وهم يدعون إلى الحق ولا يسمعون من الداعي إلا صروفاً وأصواتاً، بحال الأنعام التي تسمع صوت راعيها ولكنها لا تميّز بين ما يضر مما ينفع[1]، قال تعالى: **﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾**[2].

وقد جاء هذا التشبيه موجهاً للمشركين الذين قالوا كما يقول اليهود والنصارى ونجد هذه الصورة ونحن نقرأ قول الله تعالى: **﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾**[3]. "والمعنى هنا أن المشركين كذبوا الأديان كلها اليهودية والنصرانية والإسلام والمقصود من التشبيه تشويه المشبه به بأنه مشابه لقول أهل الضلال البحت"[4].

ونجد أن موضوع التشبيه هو أعمال الكافرين لا أحوالهم وذواتهم، فقد يعمد التشبيه ليقرر أن هذه الأعمال سوف تتلاشى مع كثرتها، بحيث لا يبقى لها أثر، ومهما اصطنع لها من دعاية.

ونلاحظ في تشبيهات الكفار، إننا نقف أمام خطاب حاد، يتميز بتقريع الكفار الذين سووا بين حبهم لأصنامهم وبين حب الله، فالخطاب ينكر هذه المحبة، وينكر تسويتها بحب الله، قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾**[5].

وفي سورة النحل مثال لصورة الكافرين، ويتمثل في قوله: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**[6]. وكانت الآية

---

(1) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص96.

(2) البقرة: 171.

(3) البقرة: 113.

(4) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج1، ص677.

(5) البقرة، 165.

(6) النحل: 76.

سبقت بقوله:﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [1]. "فهو تعليل للنهي عن الشرك، ويجوز أن يراد: فلا تضربوا الله الأمثال، إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون" [2].

ويظهر في الآية أنها تمثل تشبيهاً طرفه الإنسان المشرك، ومثله كمن سوى بين المتصف بأعلى درجات السلبية والمتمتع بأعلى الصفات الإيجابية، وتتسم هذه الصورة بسرعة استحضارها إلى الذهن بعد اكتمالها، وأداء غايتها.

ثم تأتي آيات التشبيه لتبين حال المشركين في عبادتهم، يقول تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [3]. ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم فيكون تعظيم المحبوب كتعظيم الله والخضوع له. وقيل: كحبهم الله، أي يسوون بينه وبينهم في محبتهم، لأنهم كانو يقرّون بالله ويتقرّبون إليه،بخلاف المشركين فإنهم يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه [4].

ثم ضرب الله تعالى تشبيهاً آخر بامرأة نوح وامرأة لوط، قال الله تعالى:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [5]. مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم، ولا ينتفع مع عداوتهم لهم ما كان بينهم من لحمة نسب أو صلة صهر، لأن كفرهم بالله ورسوله تقطع العلائق وتعدهم كالأجانب، بحال امرأة نوح وامرأة لوط، لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يفيد الرسولان عنهما بحق مابينهما من وصلة الزواج من عذاب الله [6].

---

(1) النحل: 74.

(2) الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، الكشّاف، ضبطه: مصطفى حسين أحمد، الجزء الثاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ص622.

(3) البقرة: 165.

(4) الزمخشري، الكشّاف، ج1، ص211.

(5) التحريم: 10.

(6) الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص571.

كما يشبه الله تعالى الإنسان الكافر بالفجّار، يقول تعالى:﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ،أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (1).

يبين الله –سبحانه وتعالى– في الآية الثانية عدم مساواة مصير المفسدين في الأرض، ومصير الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، كما لا يمكن أن يكون مصير المتقين كمصير الفجّار.

ثالثاً: الإنسان المنافق:

يرسم القرآن الكريم للمنافقين صوراً متعددة، طبقاً لأحوالهم. أما الخطاب فيزداد تقريعاً بلغة حادة، وأسلوب شديد، لبيان مكانة هؤلاء المنافقين.

فالمنافقون كانوا يظهرون الإيمان، كي يدفع عنهم الأذى، وللمنافقين حالة ثانية وهو ما كانوا يشعرون به من الحرج والضيق، وذلك حينما تنزل الآية تفضح تخاذلهم، ولكن أمرهم كان مكشوفاً وخطرهم كان محدوداً، وهناك حالة ثالثة وهي هيئاتهم الظاهرة التي تعجب الذين يرونهم(2).

وهناك حالة رابعة وهي حالتهم عندما يدعون إلى الجهاد، ولكن سرعان ما يكتشف ضعف شأنهم في ذلك الوقت.

ففي الحالة الأولى تبرز الحالة النفسية للمنافقين ونحن نقرأ قول الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ (3). وهذا التشبيه يكشف حقائق نفوسهم المضطربة إذ شبههم الله تعالى وقد ادعوا الإسلام وتظاهروا بالإيمان، واتخذوا الخداع وسيلة لهم، فمثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فبددت الظلمات وأضاءت ما حوله، وإذ بهذه النار تنطفئ فلا يبقى منها شيء.

---

(1) ص: 27–28.

(2) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان، ص94.

(3) البقرة: 17.

ويدل استخدام كلمة (بنورهم) بدلاً من ضوئهم وجمع (ظلمات) ثم (لا يبصرون) ورسم كثافة الظلام منها حتى تتناسق مع صورة المنافقين، والزيادة في رسم الظلمة المحسوسة الملائمة لظلمة النفوس، حتى إنّ هذه الظلمات أفقدتهم الرؤية الصحيحة للأشياء فلم يعودوا يميزون بين الحق والباطل والهدى والضلال[1].

أما حالتهم الثانية وهي حالة الحرج والضيق فنقرأ قوله تعالى:**﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** [2].

يشبه القرآن حالهم وهم في ضيق وحرج بحال قوم يسيرون والمطر الشديد ينزل من السماء، وقد أظلم الجو، ومع هذا المطر رعد وبرق شديد اللمعان منهم يجعلون أصابعهم في آذانهم حتى لا يسمعوا صوت الرعد، بحال المنافقين الذين يدّعون الإسلام كانوا يخشون دائماً أن تنزل آية تنبئ عن أحوالهم وتفضحهم، فهم مضطربون دائماً.

أما حالتهم الثالثة فهي نموذج للبلاهة والخوف، ويتمثل هذا النموذج في الأجسام الضخمة،يقول تعالى**﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [3].

فقد شبههم الله بالخشب المسندة بلا حركة، فهم وإن أعجبك مظهرهم لكن مخبرهم وحقيقتهم ليست شيئاً، يقول الزمخشري: "فإن قلت: ما معنى قوله : **﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾** قلت: شبهوا في استنادهم وما هم إلا أجرام خالية من الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرها من مظان الانتفاع، وما دام به في عدم الانتفاع[4].

(1) ألما المحمد، الصورة الفنية في القرآن الكريم، ص121.

(2) البقرة: 19.

(3) المنافقون: 4.

(4) الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص109.

أما حالتهم الرابعة: فقد شبههم الله تعالى بحالة الإنسان الذي يغشى عليه من الموت: قال تعالى:﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[1]. ترسم هذه الآية صورة بارزة المعالم للمنافقين، عنوانها: الجبن في البأساء، والطمع في الرخاء وعند الغنيمة، وإذا جاء الخوف وبدأت المعركة، رأيت هؤلاء المنافقين الجبناء في خوف وهلع، وقد دارت أعينهم في رؤوسهم، كدوران عين الذي قرب من الموت، وغشيته أسبابه وجاء الحديث عن المنافقين مختصراً، لأن أمرهم كان مكشوفاً وخطرهم كان محدوداً، وجاء التشبيه بأسلوب خطابي بلاغي عن حال المنافقين؛ ليعبر بصورة أقوى عن المعنى.

كما نهى الله سبحانه وتعالى المؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين في تخاذلهم وتقاعصهم عن القتال والسفر لطلب الرزق، يقول تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

وهذه الآية تحذير للمؤمنين بأن لا يكونوا كالكفّار، الذين ينسون الله وقضاءه وحكمته، ويقولون لمن يخرج غازياً أو سائحاً فيموت أو يقتل، إنه لو لم يخرج لما مات أو قتل. وذلك جهل منهم بأن الله قدّر الآجال وأن الضرب في الأرض أو الغزو، لا يكون سبباً في الموت أو القتل. كما وخلق الله هذا الاعتقاد في نفوسهم ليزدادوا حسرة على موتاهم.

ولقد احتوت هذه الآية على قوة نافذة، من شأنها أن تمدّ المؤمن بالصبر والرضاء والتسليم لحكم الله، وعدم الاستماع لوسوسة المنافقين ومرضى القلوب في كل زمان ومكان[3].

---

(1) الأحزاب: 19.

(2) سورة آل عمران: 156.

(3) عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، ج4، ص707.

حواس الإنسان في التشبيهات القرآنية.

لقد منح الله الإنسان ميزات جسمية وعقلية، ليميزه عن كثير من المخلوقات الأخرى، فإذا ما أحسن توظيفها فإنه يكون من أرقى الكائنات على الإطلاق، وإذا لم يحسن توظيفها فإنه ينحدر إلى تلك المخلوقات التي لا توظف حواسها وأعضائها توظيفاً يميزها عن الإنسان، بل يكون أسوأ حالاً منها، والقرآن الكريم قد عالج حواس الإنسان في ألفاظه التشبيهية.

ويستخدم القرآن الكريم هذه الحواس ألفاظاً تشبيهية، فمرة يستخدم حاستي السمع والنطق معاً في لفظتين اثنتين، لفظة (الصم) و (البكم) في قوله تعالى واصفاً الضالين عن الهدى: ﴿ صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [1]. وينوع في استخدام هذه الحواس، فيجمع مرة أخرى بين حاستي (السمع) و (البصر) في تشخيص الفريق الضال فيصف حالته بحالتي: (الأعمى والأصم) ويجمع كذلك بين الحواس الثلاثة السابقة في آية واحدة في ثلاث ألفاظ متتالية ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[2] فالمعنى: "كل واحد منهم كالأصم الأبكم الأعمى"[3].

ويلاحظ مما سبق أن القرآن إذ يذم هذه الحواس، وهي تمثل حالة خلقية مرضية، لا يذمها لذاتها، بل اعتمدها القرآن الكريم في تقبيح صورة عبادة الضالين وتشنيع سلامة حواسهم،والأشد من ذلك هو أن تكون تصرفات الإنسان الصحيح المعافى مماثلة لمن أصيب بهذه العاهات المرضية.

ويستخدم القرآن الكريم مرة أخرى هذه الحواس نفسها ألفاظاً تشبيهية ليس من أجل الذم، بل هي سليمة معافاة، يقول تعالى:﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [4]. فحاستا السمع والبصر استخدمتا هنا في وضع يختلف عن وضعهما السابق، فحالة المشبه حالة من كان

(1) الأنعام: 29.

(2) البقرة: 18.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص313.

(4) هود: 24.

سليم البصر سليم السمع، أي "شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع"[1]. وهنالك حواس أخرى استخدمها القرآن في نفس الغرض، منها حاسة النطق، التي تعد اكبر دليل يفرّق بين الإنسان والحيوان، يقول تعالى:**﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾**[2]. فالمعنى :"شيءٌ معلوم كالضرورة لا متردد في وقوعه وهو كون المخاطبين ينطقون"[3].

وقد وظّف القرآن الكريم حاسة البصر للدلالة على أقصر حركة تستغرق زمناً قصيراً، وقد ورد هذا في قوله تعالى:**﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾**[4]. "ويجوز أن يكون وجه الشبه السرعة، أي سرعة الحصول عند إرادة الله، أي ذلك يحصل فجأة بدون أمارات... ولا يقوهم أن يكون البصر تشبيها في سرعة الحصول"[5].

ومن الحواس الأخرى التي استخدمت في تشبيهات القرآن الكريم حاسة (اليد) وهو عضو أساسي في الجانب الحركي للإنسان، يقول تعالى:**﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾**[6]. فشبه حال المشركين في دعائهم الأصنام وعدم استجابتها لهم بشيء بحال الظمآن يبسط كفيه يبتغي أن يصل الماء إلى فمه ليرويه وما هو ببالغ إلى فمه[7]. وهذا التشبيه يعد مثالاً في إضاعة المطلوب وخيبة الداعي.

أما حاسة القدم فنجدها قد استخدمت في تجربة بسيطة إذ يصعب على الإنسان معايشتها، وزلل القدم تمثيل لاختلال الحال والتعرض للأذى، لأنه يترتب عليه السقوط أو الكسر، وهذه تعد مثالاً حياً لاستقامة الحال ودوام السير، يقول تعالى:**﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا**

---

(1) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تفسير النسفي، المجلد الثاني، دار القلم، لبنان، ط1، 1989م، ص714.

(2) الذاريات: 23.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص356.

(4) النحل: 77.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص230.

(6) الرعد: 15.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص109.

صَدَدْتُمْ ﴾[1]. والمقصود في الآية السابقة "تمثيل ما يجره نقض الإيمان من الدخل شبهت حالهم بحال الماشي في طريق بينما كانت قدمه ثابتة إذ هي قد زلت به فصرع، فالمشبه بها حال رجل واحد"[2].

2.3 النبات في التشبيهات القرآنية:

النبات شيء أساسي في حياة الإنسان، فلولاه لما استمرت حياته ولا حياة أي كائن فوق هذه الأرض، فمنه يستمد جميع طاقته الحيوية، كالغذاء والتدفئة والكساء والسكن، وجميع الصناعات المختلفة فهو ثروة هائلة لا يمكن الاستغناء عنها، ونجد القرآن الكريم يوليه اهتماماً كبيراً، ويذكر في أكثر من موضع. فقد عدد محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم عدة صيغ لفعل (نبت) فوجدها اثنتا عشرة صيغة لهذا الفعل[3].

وتعّرف الإنسان على أحوال وأطوار النباتات المختلفة، وأعطاها صفات مختلفة فمنها الجيد والرديء ومنها القصير والطويل، ومنها الطيب والخبيث وفيها الحلو والمرّ، فتكونت لديه انطباعات حول جميع أصناف النباتات التي عرفها، إذ وظّف بعض هذه التشبيهات في ألفاظه التشبيهية الفنية وخاصة في الشعر.

ومن النباتات التي تعلقت بحياة الإنسان العربي في صحرائه نبات (النخيل) الذي يمثّل بالنسبة له مورداً أساسياً في حياته الاقتصادية والاجتماعية ولا عجب في ذلك عندما نجد القرآن الكريم يستخدم في تشبيهاته هذا النوع أكثر من غيره من النباتات الأخرى، وقد ورد ذكرها أربع مرات في أربع آيات بينات، ومن صفاتها أنها ثابتة الأصل عميقة الجذور، وهي من الأشجار الممتازة عن غيرها بالصبر عن الماء[4]، وذلك لغور جذورها إلى مسافات بعيدة جداً لامتصاص الماء من تلك الأغوار السحيقة فينتج عن ذلك تغلغل جذورها واستحكام ثباتها في الأرض.

---

(1) النحل: 94.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج13، ص269.

(3) محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت، ص687.

(4) واجدة مجيد الاطرقجي، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978م، ص145.

أما فيما يتعلق بلفظة (الخشب) في قوله تعالى:﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ [1]. فالخشبة تعني: "ما غلظ من العيدان والجمع خشب"[2].

أما لفظة الشجرة الموصوفة بالخبث في قوله تعالى:﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[3]. فإنه لم يحدد معناها بل اختلف فيه، فهي:"كل شجرة لا يطيب ثمرها"[4].

ومن النباتات التي ذكرت في القرآن الكريم لفظة (العصف) وقد جاءت لوصف أولئك الذين باءوا بغضب الله فعاقبهم فكانوا ﴿ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[5]. ومثل هذا التشبيه حدثنا به القرآن، ليوضح لنا قصة أصحاب الفيل بقيادة إبرهة، إذاً فالعصف ورق الزرع، والعصف إذا دخلته البهائم فأكلته داسته بأرجلها وأكلت أطرافه وطرحته على الأرض. وهذا تمثيل لحال أصحاب الفيل بعد تلك النعرة والقوة كيف صاروا متساقطين على الأرض هالكين[6]. وقد جاء معنى العصف في اللسان:"ورق الزرع وما لا يؤكل منه"[7].

وإذا تأملنا ألفاظ النبات السابقة، نجد أنها تمثل بعداً دلالياً، وهو: (الموت) وهذه النباتات ليست إلا نهاية لأولئك المتجبرين المعتدين المعرضين عن الحق، وهذا واضح من خلال الهيئة التي آل إليها كل نبات، إذ لا حركة تصدر منه، ولا نماء.

ويمكن القول إن الموت له تأثير سلبي في نفسية الإنسان ومن هنا نستطيع أن نلتمس سبباً للأسباب التي جعلت القرآن الكريم يوظّف هذه الألفاظ في تشبيهاته الفنية.

ولم يكتف القرآن الكريم بتوظيف عناصر النبات إلى جانب العناصر السابقة، بصفتها وسائل إيضاح، بل نجده يعتمد إلى عناصر أخرى كعنصر الحيوان في نفس الغرض الإيضاحي، وهذا ما سندرسه من خلال العنصر الموالي.

---

(1) المنافقون: 4.

(2) ابن منظور، اللسان، م1، مادة (خشب)، ص739.

(3) إبراهيم: 26.

(4) النسفي، تفسير النسفي، ج2، ص827.

(5) الفيل: 5.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص551.

(7) ابن منظور، اللسان، م9، مادة (عصف)، ص247.

3.3 الحيوان:

نجد أن القرآن الكريم يعتمد في تبيان كثير من القضايا الدينية والدنيوية على الحيوانات المختلفة في تشبيهاته الفنية، وأشهر هذه الحيوانات في البيئة العربية إلى الإنسان العربي هي (الأنعام والجمال والحمير والكلاب).

أ- الأنعام: وهي "النعم الإبل والشاة والجمع أنعام وأناعيم جمع الجمع، وقال ابن الأعرابي: النعم الإبل خاصة، والأنعام الإبل والبقر والغنم، وقال الفرّاء: النعم ذكر لا يؤنث، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها الإبل، فإذا قالوا الأنعام أرادوا بها الإبل والبقر والغنم"(1).

ومن هنا فإن اللفظة التي ذكرت في تشبيهات القرآن الكريم هي لفظة الأنعام التي تعني كما سبق الإبل والبقر والغنم، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في ثلاث آيات قرآنية تشبيهية. ولفظة الأنعام هذه لها مدلولات كثيرة في نفسية الإنسان العربي، فهي تمثل عنده الهدوء والاطمئنان والأمان. كما تعني لديه الخصب والنماء، كما أنها تعني إليه (البلادة) في عدم استخدامها لحواسها في التفكير والتدبير(2).

ولكن كان لكل واحد من ألفاظ الأنعام الثلاثة جهته وموضوعه، فهي تمثل تارة حال الفريق الضال من الجن والإنس:**﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ﴾** (3). وتارة أخرى تؤكد ضلال الكافرين من قوله تعالى:**﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾** (4). أما قوله تعالى:**﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾**(5). في وصف طريقة أكل الكافرين، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى لهم القلوب والعيون والآذان، وأنهم كانت لهم العيون والآذان، وأنهم كانت لهم العيون والآذان التي يشتركون فيها مع الأنعام، لذا نجد القرآن حينما شبههم بالأنعام يضرب عن هذا

---

(1) ابن منظور، اللسان، م12، مادة "نعم"، ص585.

(2) أحمد لزهري بلخضر، التشبيه صوره وألفاظه في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجزائر، 1992.ص241.

(3) الأعراف: 179.

(4) الفرقان: 44.

(5) محمد: 12.

التشبيه فيقول بل هم أضل فالأنعام تأكل من أجل أن تملأ بطونها، فالأكل هو الغاية، وهم يعيشون ليأكلوا بدون توقف.

ويخص القرآن في ألفاظه التشبيهية (الإبل) بالذكر عن باقي الأنعام الأخرى فيوظفها في لفظتين اثنتين هما:

أ- **الجمالات:** جاء في لسان العرب: "وأحدهما جمال مثل ما قالوا رجال ورجالات وبيوت وبيوتات، ويجوز أن يكون واحد الجمالات جمالة"(1). وجاءت هذه اللفظة في قوله تعالى في وصف نار جهنم بأنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر **﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ،كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾** (2). فهو تشبيه في الحجم واللون والحركة، وهذا تشبيه مركب لأنه في تشبيه هيئة الحجم مع لونه و حركته، والصفره: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره(3).

ب- **الهيم:** "فيقال هام الرجل هياماً فهو هائم وأهيم... الهيمان العطشان"(4). ولفظة (الهيم) صفة اشتهرت بها الإبل عن باقي الكائنات الحية الأخرى ويقال الهيم: الإبل العطاش، أو المريضة التي لا تروى بشرب الماء. والهيم: داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً(5). يقول تعالى:**﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ، فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾** (6).

أما المعنى الذي تذهب إليه هذه اللفظة عموماً هو عدم الاستواء، سواء أكان عطشاً أم مرضاً أم جنوناً، فكل هذه المعاني التي تتصف بها الإبل تدل على أن حالة الموصوف غير طبيعية، كما أنها تعني مدلولاً خاصاً غير طبيعي لفطرة الكائنات الحية وبخاصة الإنسان الذي يجب أن يكون أرقى مخلوقات الله(7).

ومن الحيوانات الأخرى التي خصها القرآن الكريم بالذكر في تشبيهاته الفنية (الحمار).

---

(1) ابن منظور، اللسان، م2، مادة (جمل)، ص123.
(2) المرسلات: 33.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص437.
(4) ابن منظور، اللسان، م12، مادة (هيم)، ص627.
(5) عبد الله شحاته، تفسير القرآن الكريم، م14.
(6) الواقعة: 54-55.
(7) احمد بلخضر، التشبيه صورة والفاظة، ص243.

أ- **الحمار**:"تطلق على النهاق من ذوات الأربع أهلياً كان أو وحشياً وجمعه أحمرة وحمر وحمير وحمر وحمور وحمرات جمع الجمع. والأنثى حمارة"[1]. وقد ذكرت هذه اللفظة في تشبيهات القرآن الكريم في آية واحدة، يقول تعالى:**﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[2]. إذ بينت هذه الآية صفات اليهود، وقد كلفوا ثقل الأمانة وأدركوا سر العقيدة، وتحملوا عبء التوراة، ولكنهم تخلوا عن كل ذلك، فهم لا يعلمون بمضمونها ولا يستجيبون لندائها، تاركين وراءهم الحق، فهم على درجة عالية من الجهل والغباء، واجتماع الجهل مع الغباء عند هذا الحيوان ترمز إلى من يحمل العلم ولا ينتفع به، ولعل استخدام القرآن الكريم هذه الصورة التشبيهية ليبرز حقائق الأشياء وطبيعة الموصوفات، وأوجه الشبة المناسبة، بما يتلاءم مع الجانب البلاغي في مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ب- **الحمر**: تصف هذه اللفظة إعراض الكافرين عن ذكر الله، يقول تعالى:**﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ،فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾**[3]. ويتضح لنا من هذه الآية أن الصفات التي ذكرتها (مستنفرة وقسورة) على أنها الحمر الوحشية وهي تعيش في الصحراء مع الحيوانات غير الأليفة، وهي تعيش في مجموعات كبيرة، ولكنها تتعرض إلى مضايقات كثيرة من قبل أسد الغاب، أو كلاب الصيد، حيث ينتابها الخوف والهلع على الرغم من ضخامة جثتها وكثرة عددها، ولعل هذا التشبيه يتفق مع مسايرة الواقع وتصوير الأحداث وبالتالي فهي تتفق مع حالة الكفّار والمشركين في إعراضهم عن ذكر الله.

وبالإضافة إلى ألفاظ الحيوانات السابقة في النماذج التشبيهية في القرآن الكريم، لفظة (الكلب).

ج- **الكلب**: وهو من الحيوانات الأليفة التي رافقت الإنسان، ويلعب دوراً بارزاً في حياة الإنسان العربي، إذ يلعب دوراً بارزاً في الحراسة سواء كان الإنسان

---

(1) ابن منظور: اللسان، م4، مادة (حمر)، ص212.

(2) الجمعة: 5.

(3) المدثر: 49-50.

غائباً أم حاضراً، ومن محاسن الكلب الوفاء لصاحبة، ومن الصفات القبيحة (اللؤم، وكثرة أذاها). فلفظة الكلب جاءت للدلالة على توضيح صورة الإنسان الذي انسلخ من آيات الله بعد عرفانه بموضوعها، واتّبع هواه وضل في غوايته، فوجد له التشبيه أصدق صورة في الكلب اللاهث، يدلع لسانه، ويسيل لعابه، في حالتي راحته وتعبه يقول تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ،وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾(1).

فقد مثّل سبحانه وتعالى لذلك الإنسان الذي مال إلى الدنيا ولم ينفع معه وعظ أو إرشاد، فهو ضال كالكلب لا يقدر لنفسه على ضر أو نفع فهو لاهث إن حملت عليه وطردته(2).

ومن الحيوانات التي تصنف تحت تشبيه الحيوان الحشرات وهي (الجراد والعنكبوت، والفراش، واليرابيع والقنافذ وغيرها)، جاء في لسان العرب أن: "الحشرة واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ ونحوها"(3). ومن خلال تقصي تشبيهات القرآن الكريم لم أعثر لهذا النوع إلاّ على ثلاث حشرات هي: (الجراد والفراش، والعنكبوت).

ومن الملاحظ أن هذه الحشرات صنفت ضمن ألفاظ الحيوان عند واجدة الأطرقجي في كتابها (التشبيهات القرآنية) أذكر منها على سبيل المثال: "والجراد من الحيوانات التي يعرفها العربي معرفة الساخط الناقم"(4).

وقد جاءت هذه التشبيهات (الجراد والفراش والعنكبوت) في ثلاث صور تشبيهية، ففي الصورة الأولى: نجد أن هؤلاء العاكفون على أصنامهم، يسيئون صنعاً ويحسبون أنهم محسنون، ويتخذون الأنداد لله تعالى، فيبرز تشبيههم بالعنكبوت التي تجهد نفسها باتخاذ بيت ليس له مقومات البيوت ولا أحكام البناء، فهو نتاج واهن

---

(1) الأعراف: 175-176.

(2) واجدة الطرقجي، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص178.

(3) ابن منظور، لسان العرب، م2، مادة (حشر)، ص191.

(4) واجدة الأطرقجي، التشبيهات القرآنية والبيئة العربية، ص173.

ضعيف، قال تعالى:﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فليست في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئاً فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء.

أما لفظتي (الجراد والفراش) فهما تمثلان حالة الفزع والجزع، وقد شبّه الناس في ذلك اليوم بالحشرة الصغيرة، فالناس في انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم، بسبب حيرتهم مما هم فيه، كأنهم جراد يهم على غير هدى.

يقول تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[2]. أو كأنهم فراش مبثوث متفرق منتشر، يقول تعالى:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[3].

وهذا التشبيه يدل على الكثرة والانتشار، والضعف والذله والتطاير إلى الدّاعي من كل جانب، كما يتطاير الفراش إلى النار[4].

4.3 الطبيعة في التشبيهات القرآنية:

هنالك علاقة وثيقة بين تشبيه بعض العناصر الطبيعية، وتشبيه الموضوعات الأخرى في القرآن الكريم؛ لأن الأسلوب القرآني، لا يعتمد في السياق على نمط واحد من التشبيه، بل يعتمد على التنويع فيه، فينتقل من نمط تشبيهي إلى آخر، ضمن العلاقات التعبيرية المتفاعلة داخل السياق، لتحقيق الأثر الديني والفني معاً.

ويحتل تصوير العناصر الطبيعية الجامدة التي استخدمها القرآن في تشبيهاته الفنية مكانة هامة في تشبيهاته الفنية، وهي تقسم إلى العناصر التالية: (الجبال، الحجارة، الهباء، الكواكب).

أ- **الجبال:** لقد أخذت المكانة الأولى في ألفاظ هذه المجموعة تشبيهات القرآن الكريم[1] إذ وُظّفت تسع مرات في تسع صور تشبيهية واحدة منها بنفس اللفظ

---

(1) العنكبوت: 41.

(2) القمر:7.

(3) القارعة: 4.

(4) الزمخشري، الكشّاف، ج4، ص789.

(الجبال)، فالمعاني الذهنية المرتبطة بالظواهر الكونية، تصوّر بصور مختلفة يقتضيها السياق، كالموج مثلاً: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[2]. فشبه ضخامة الموج وارتفاعه بالجبال، وصورة الجبال مألوفة مشاهدة، توحي بضخامة الموج وارتفاعه، وهذا التشبيه جاء وصفاً لعظم اليوم وعجيب صنع الله تعالى في تيسير نجاتهم[3]، وحين يتغير السياق، نلاحظ أن الموج يصوّر بـ"الظلل" اليومي بالفزع والرهبة، يقول الله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين﴾[4] فالسياق هنا كله خوف وفزع، وهؤلاء الناس لا يعرفون ربهم إلا في الشدة. وفي سياق آخر تصوّر بالعهن: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ لتوحي بألوان الجبال المختلفة ويزيد هذه الصورة في موضع آخر بوصف العهن بالمنفوش: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾.[5]

فهذه الصور المتنوعة للجبال، ليست من قبيل التكرار للمعنى الذهني الواحد، وإنما هناك فروق دقيقة في المعاني، يؤديها التشبيه عبر الأنساق التي تقتضيها، فلفظة (الجبال) كما سبق استخدمت للدلالة على العظم والقوة، والتشبيه بهذا اللفظ جاء بصورة نامية، متفاعلة، مترابطة، وليست صورة مجزأة، مفصولة عن سياقها.

ب- الحجارة: تطلق لفظة (الحجارة) عموماً على الصخور بأنواعها المختلفة، وتعني بالنسبة لحياة الإنسان الشيء الكثير، فهي إمّا مواضع للسكن، أو للدلالة على الصلابة والقوة[6]، وهي تستخدم في الغالب الأعم لهذا المعنى، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[7] يقول ابن عاشور: "والقسوة والقساوة توصف بها الأجسام وتوصف بها النفوس المعبّر عنها بالقلوب فالمعنى الجامع للوصفين هو عدم قبول التحول عن الحالة الموجودة إلى حالة تخالفها ....، أم كانت موضوعة للأجسام حقيقة واستعلمت في القلوب مجازاً وهو

---

(1) أحمد بلخضر، التشبيه صورة وألفاظه، ص/265.

(2) هود: 42.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12،

(4) لقمان/ 32.

(5) القارعة/5

(6) أحمد بلخضر، التشبيه صوره وألفاظه، ص257.

(7) البقرة: 74.

الصحيح، فقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة وصار غير محتاج إلى القرينة"[1].

وهناك دلالة أخرى للفظة (الحجارة) وهي النعومة، وهي الخاصية التي اعتمدها القرآن الكريم في توضيح خيبة أمل أعمال المرائين من الكفار والمنافقين يوم القيامة، كما قال تعالى: **﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً﴾**[2] مثّل حال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال صفوان أملس عليه تراب يغشيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً وبقي مكانُه صلدا أملس فخاب أمل زارعه، وأن وجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار[3]، والغرض من هذا التشبيه تفظيع المشبّه به وليس المراد المماثلة.

وتدل هذه الألفاظ التشبيهية في القرآن الكريم على خبرة الناس الطويلة لهذه المادة، أي –الحجارة– وإلى ما تحمله هذه المادّة من دلالات حسيّة وأخرى معنوية في نفسياتهم وبخاصة العرب، لأنها كانت تمثل بالنسبة لهم الأصنام التي يعبدونها، والأدوات المنزلية التي يستخدمونها.

جـ- الهباء: يعبر القرآن الكريم بلفظة (الهباء) عن الوجود غير المفيد؛ فذرات الغبار رغم انتشارها وكثرتها في الهواء فإن الفائدة منها منعدمة بالنسبة للإنسان العادي فتشبه الجبال الزائلة بصورة الهباء المنبث **﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً، فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾**[4] فلفظة "هباء" لا قيمة لها في ميزان العدل الإلهي يوم القيامة.

ونفس الشيء بالنسبة للكفار والمنافقين، فإن أعمالهم موجودة في الدنيا ولكنها غير نافعة لهم في الآخرة فكلها عبارة عن "هباء"، كما قال تعالى : **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فَجَعَلْنَاهُ هباء منثورا﴾**[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص562.

(2) البقرة:264.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص/48.

(4) الواقعة 5-6.

(5) الفرقان: 23.

د- **الكواكب:** لقد حار الإنسان منذ القدم إلى يوم الناس هذا باللغز المحيّر في أشكال الكواكب وتنوعها، فكان ولا يزال يحاول التعرّف عليها بشتى وسائل المعرفة، إلا أن الشيء المحسوس الذي تعارف عليه الناس هو أن لبعض هذه (الكواكب) نوراً ينبعث منها كما هو الحال بالنسبة لكوكب الشمس، وأن البعض الآخر منها مظلم يمتلك خاصية إنعكاس النور عليه كما هو الحال مع كوكب القمر، والقرآن الكريم يختار من بين هذه الكواكب الكوكب الذي يمتاز بالإنارة ويوظفه في صورة تشبيهية فريدة من نوعها وذلك في جزء من صورة تشبيهية مركبة ليوضّح حالة صفاء الزجاجة المنبعث منها النور[1]: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ**﴾[2]. فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفّت به وسائل قوة الإشراق فهو نور الله لا محالة، وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصوف بما معه من الصفات دون أن يشبه نوره بطلوع الشمس بعد ظلمة الليل بقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبه بها بأنها حالة ظهور نور يبدو في خلال ظلمة فتنقشع به تلك الظلمة. ودون أن يشبه بهيئة بزوغ القمر في خلال ظلمة الأفق لقصد إكمال المشابهة، لأن القمر يبدو ويغيب في بعض الليلة بخلاف المصباح الموصوف، والكوكب: النجم، والدرّي وهي الكواكب الساطعة النور مثل الزُّهرة والمشتري منسوبة إلى الدّر في صفاء اللون وبياضه[3].

ووصولاً إلى هذا النوع من الصور التشبيهية نكون قد أتينا على نهاية هذا الفصل، ويمكن القول، إن مضامين التشبيه-كما رأيناها- تشكل صورة جديدة في تأدية الأغراض الدينية، وهي أوسع من الصور المعبّرة عن المعاني الذهنية المجرّدة، لأن التشبيه القرآني يدور حول قضايا فكرية أساسية في الدين كالإيمان والكفر، وتصنيف الناس إلى مؤمنين وكافرين ومنافقين، يتسع لها التشبيه القرآني، بعلاقاته وروابطه التصويرية والتعبيرية، بحيث إن التشبيه يتوزّع على مجموعات

(1) أحمد بلخضر، التشبيه صوره وألفاظه، ص258.

(2) النور: 35.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص/238.

متماثلة في مضامينها أو اتجاهاتها، وتحكم كل مجموعة منها عـدة روابـط فكريـة وتعبيرية وتمثيلية تتناسب مع حركة الأنساق في الأسلوب القرآني.

ونلاحظ في التشبيه القرآني لأصناف الناس، أنه يبرز ملامـح كـل فئـة أو صنف، لإظهار الفوارق الجوهرية بين المؤمنين والكافرين والمنافقين.

ولكنّ التشبيه القرآني، لا يتوقف عند النماذج الإنسانية، وإنما يتجاوزها إلـى تشبيهات أكبر، إلى تشبيه ألفاظ الحيوان والنبات، ضمن نظـام العلاقـات الفكريـة والتصويرية، ومن ثم تتداخل تشبيهات قرآنية أخرى مثل، النفقة في سبيل الله،لتحقق الغرض الفني والديني معاً.

فمثلاً صورة الإنفاق تحقق غرضاً دينياً في الحث على الإنفـاق ومضـاعفة أجره، ولكن هذه الوظيفة الدينية للصورة الجزئية مرتبطة مع غيرها من الصـور، تصلح أساساً لفهم الحياة والكون والإنسان.

كما يتناول التشبيه القرآني بعض ألفاظ الظواهر الطبيعية، فكل تشبيه في هذه الظواهر يتحرك ضمن نظام معين، وهذا يدل على قدرة الإعجاز القرآني، إعجـاز في الظواهر الطبيعية، وإعجاز في كلام الله المقروء.

وهنالك مضامين كثيرة للتشبيهات القرآنية، لا يتسع هذا الفصل للحديث عنها، لأنها لم تصنف ضمن العناصر الأساسية السابقة، وتمتاز بعمومية معانيها واشتراكها بين كثير من مخلوقات الله، فهي بحاجة إلى دراسات مفصلّة، يتوقف الباحث عنـدها بروية وصبر نافد.

الفصل الرابع

ظواهر أسلوبية في التشبيه

1.4 الأسلوبية في الإطار النظري:

1.1.4 الأسلوب والأسلوبية:

إن مفهوم الأسلوب مفهوم قديم يرقى إلى بدايات التفكير الأدبي، وقد ارتبط معنى هذا المفهوم في ناحية شكلية خاصة هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بعبارات لغوية، فهو طريقة الكتابة والإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعني قصد الإيضاح والتأثير[1].

ومن الجدير بالذكر أن عناصر الأسلوب في الأسلوب الأدبي ينحل إلى العناصر التالية، هي: الأفكار والصور والعبارات والعاطفة، وكذلك يكون الإختيار الذي يتناول الأفكار والصور والعبارات عملاً أسلوبياً، هو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بموضوع الكلام الذي تراه أليق في دراسة هذه العناصر[2].

ومن هنا يكون مصطلح الأسلوب قد واكب مصطلح البلاغة مدة طويلة دون أن يكون هناك تعارض بينهما، وهو تتبع بدأ أيضاً من خلال صلته بالمصطلح الذي كان شائعاً قبله منذ عهد أرسطو، وهو مصطلح البلاغة، فلقد بدأت فكرة "البلاغة" بمعنى فن القول الرفيع تتحدد في شكل قواعد نظرية عامة، وعلى نحو خاص في كتب أرسطو عن "الشعر" و "الخطابة" وهي الكتب التي أثرت كثيراً في الفكر البلاغي الأوروبي والعربي في العصور الوسطى. فقد عرف البلاغيون في العصور الوسطى وما قبلها تقسيم طبقات "الأسلوب" إلى ثلاثة: الأسلوب البسيط، والأسلوب المتوسط، والأسلوب السامي، وحددوا لكل واحد من هذه موضوعاتها التي تصلح لها، ومفرداتها التي تستعمل فيها. ويمثل هذه الألوان ثلاثة نماذج كبرى من إنتاج الشاعر الروماني "فرجيل" Virgil الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، ويعد

---

(1) أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ط4، ص44.

(2) نفسه، ص52.

ديوانه الذي كتبه عن حياة الفلاحين: "قصائده الريفية" نموذجاً للأسلوب البسيط، وديوانه الأخلاقي الذي يحث الرومان على التمسك بأرضهم والذي عنوانه "قصائد زراعية" يعد نموذجاً للأسلوب المتوسط، أما ملحمته الشهيرة "الإنياذة" فتعد نموذجاً للأسلوب السامي، وعلى أساس هذا التقسيم شاع عند البلاغيين ما عرف بدائرة فرجيل في الأسلوب وهي دائرة ترسم على أساس محاولة توزيع هذه الأقسام الثلاثة على الطبقات الاجتماعية المتنوعة، ومن ثم توزيع المفردات والصور ومظاهر الطبيعة وأسماء الحيوانات والآلات والأماكن على الطبقات الملائمة[1].

أما في تراثنا النقدي، فقد ظهر المصطلح بشكل واضح بين المعنى الأدبي والوسائل النحوية التي تؤديه، فهي العلاقة التي اهتدى إليها صاحب نظرية علم المعاني -عبد القاهر الجرجاني- وأطلق على هذه العلاقة اسم "نظرية النظم" وقد يتساوى مفهوم الأسلوب ومفهوم "النظم" الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام، ولهذا يمكن أن نجد في حركة النقد العربي القديم ما يصله بحركة الدرس الأسلوبي، وتمثل ذلك في عملية التمازج بين النقد، والبلاغة، والنحو بحيث أصبحت بحوث النحو وسيلة لتقويم الأسلوب ورصد خصائصه، كدراسة أسلوب التعجب، والاستفهام وخروجهما عن الغرض الأصلي إلى أغراض إضافية، تمثل قيماً جمالية تعبيرية في النص الأدبي[2].

وكانت الدوافع لدراسة الأسلوب في العصر الحديث متعددة. يمكن حصرها في اثنين: ينحدر أحدها من الألسنية التاريخية، والآخر من النقد الأدبي، وقد استفادت الأسلوبية من المفاهيم التي طرحها (فردناند دي سوسير) فقد وضع فاصلاً مطلقاً بين علم اللغة التاريخي والتزامني. وعلم اللغة التاريخي هو تاريخ علم اللغة أي، فقه اللغة- القديم المقارن، أما علم اللغة التزامني فيعني دراسة الحالة الواقعية للغة في زمن معين التي تعد نظاماً كاملاً في الاتصال يعتمد بعضه على بعض، متحقق فعلاً في الحياة اليومية ومنفصل تماماً عن تاريخه وأصوله. وكانت النقطة

(1) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، 1995م، ص17.

(2) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط1، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، 1994م، ص172.

الثانية في فردناند دي سوسير هي التمييز بين اللغة والكلام، فاللغة عند سوسير عنصر محدد مستخلص من حقائق لغوية متغايرة الخواص عموماً. والتمييز بين اللغة والأسلوب، أدى إلى نشوء علم الأسلوب(1).

" أما تمييز دي سوسير بين اللغة والخطاب فقد كان ذا تأثير كبير على مختلف الاتجاهات اللسانية بعده، إذ قَبِلَ هذا التقسيم عدد من اللغويين والمشتغلين بالدراسات اللسانية منهم العالم اللغوي (شومسكي) الذي ظهر على يديه ما سمي "النحو التحويلي التوليدي" وقبل شومسكي بالتقسيم الثنائي الذي قال به سوسير وقد أطلق على ثنائيته الجديدة مصطلحين مختلفين هما مصطلح القدرة ومصطلح الفعل. وتختلف نظره سوسير إلى طبيعة اللغة عن مثليتها عند شومسكي، فهو عند سوسير مجموع القواعد المستنبطة من لغة الخطاب، وهي عند شومسكي القدرة التي تمكن كل فرد في المجتمع من توليد جمل جديدة لا يكون قد سمعها من قبل وهذه القدرة تسمّى عنده "بالمعرفة اللغوية"(2).

أما ميشيل ريفاتير، يرى أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وتحمل القارئ على الانتباه بحيث إن غفل عنها تشوه النص، وإذا حللها وجدلها دلالات تمييزية خاصة تعبر عن الأسلوب وتبرزه(3).

وعلى الرغم من ذلك فإن القاسم المشترك لتعريف الأسلوب هو اعتبار الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة تقوم على استخدام عدد من الاحتمالات المتاحة، والتأكيد عليها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى، وأن الوسيلة الأساسية لتمييزه إنما هي المقارنة سواء أكانت مقارنة صريحة أم ضمنية(4).

وإذا كان هذا هو الأسلوب فماذا الذي يعنيه الدارسون بالأسلوبية؟

---

(1) هوف، غراهام، الأسلوب والأسلوبية، العدد الأول، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق عربية، بغداد، 1985م، ص34-35.

(2) فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، 1990م، ص19.

(3) سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، دار البحوث العلمية، ط1، 1980م، ص26.

(4) نفسه، ص33.

إن مصطلح الأسلوب بدأ استعماله منذ القرن الخامس عشر، على حين لم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا في بداية القرن العشرين، أي أنه خلال القرون من الخامس عشر إلى التاسع عشر كان يوجد مصطلح الأسلوب فقط، والذي كان يقصد به "النظام والقواعد العامة"، أمّا في القرن العشرين، فقد استمر هذا المصطلح أيضاً وإلى جواره مصطلح آخر هو "الأسلوبية" الذي اقتصر على حقول الدراسات الأدبية وإن امتد به بعض الدارسيين إلى الفنون الجميلة العامة. وخلال التطور التاريخي في الدراسات البلاغية، لم يلغ مصطلح "الأسلوب" وإنما تحددت للمصطلح القديم دائرة ووظيفة في إطار المصطلح الجديد، لأن الأسلوبية كانت تتعامل مع اللغة على أساس أنها تحل من التعبير محل الرخام من النحت، فهي لا تتعامل مع كل تعبير، بل مع لون معين منه، وصل إلى درجة معينة من الأداء الأدبي[1].

وبناء على ما سبق ننظر إلى "الأسلوبية" على أنها ترى أن النص كيان لغوي واحد بدواله ومدلولاته، ولا مجال للفصل بينهما، أو لبحث أحد الجانبين دون الآخر، من حيث أن أولهما يكمل العنصر الآخر، بهدف الكشف عن الأبعاد النفسية والقيم الجمالية والوصول إلى أعماق فكر الكاتب من خلال تحليل نصّه.

فطول الجملة أو قصرها وغلبة الأفعال فيها أو الأسماء، والحذف والاستفهام والتكرار، والتقديم والتأخير، والعطف والإيقاع وغير ذلك من ملامح وخصائص يتصف بها، كل هذا هو مجال بحث الأسلوبية، ومعنى ذلك أن الدراسة الأسلوبية لا يمكن لها أن تفصل بين المحتوى والشكل، لأن العمل الأدبي وحدة واحدة فلا انفصال للمعنى عن الأسلوب[2].

وقد رأى ياكبسون الأسلوبية بأنها منهج لساني يقوم على البحث، فهي وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من علم اللسان. وقد تركزت جهوده على أن اللغة يجب أن تدرس بوظائفها المتنوعة كافة، فكل فعل تواصلي لفظي يقتضي مرسلاً يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقاً تحيل إليه أي: المرجع.

---

(1) أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص16.

(2) فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، ص37.

إن ميدان الأسلوبية الأدبية فسيح جداً لا يتسع المجال له للقيام بتسجيل منتظم لتطوره، لأن التطورات حصلت في جوانب متعددة- بصورة متوازية أو متداخلة أو متبادلة. فهي بحاجة إلى دراسات موسعة تقوم بدراسة الموضوعات والمشكلات التي تسعى الأسلوبية الأدبية في تناولها.

ولا يملك الباحث في هذا المقام الإلمام الشامل بكل الأنماط الأسلوبية في التشبيه في القرآن الكريم، ولذلك نكتفي بعرض بعض الظواهر الأسلوبية عن طريق شواهد مختارة في التشبيه على أساس موضوعي، لبيان ما نذهب إليه في أمر تلك البلاغة التي تقوم على فكرة بنيوية، والتي فات البلاغيين الوقوف عندها، وخاصة دراسة الظاهرة الأسلوبية في التشبيه في القرآن الكريم، وذلك لانصرافهم إلى نظرية النظم.

2.4 ظواهر أسلوبية في التشبيه في القرآن الكريم :

هناك قيم أسلوبية تبرز واضحة من التشبيه في القرآن الكريم، وهذه القيم تمنح الأسلوب الأدبي جمالاً ونبضاً وقوة، وأبرز هذه القيم هي: الحذف، والاستفهام الإنكاري، وبلاغة العطف في التشبيه، والإيقاع، والمبالغة في التشبيه، وتكرار التشبيه، والتشبيه المصدري، وسوف نتناولها بشيء من العرض والتحليل من خلال آيات مختارة تشتمل على التشبيه في القرآن الكريم.

1.2.4 الحذف.

جاء أسلوب الحذف في القرآن الكريم وخاصة في أسلوب التشبيه- لغايات بلاغية تعرف من السياق وتدرك بالذوق العقلي "فإذا حذفت هذه المحذوفات المندرجة تحت هذا القسم كان العقل هو الدال على حذفها، وإذا ذكرت كان الذكر هو الدال على ذكرها، فتحذف استناداً إلى أنّ العقل أقوى دليل على حذفها، ذلك لأنه لا يحتاج إلى اللفظ دائماً، بخلاف المعنى فهو بأمس الحاجة إلى العقل دوماً"(1). ويأتي الحذف في القرآن الكريم لأغراض بلاغية لطيفة أذكر منها: (التحقير) وذلك عند إرادة تحقير شأن المحذوف، وتصغير شأنه وطي ذكره كما في قوله تعالى حكاية

---

(1) حسين أحمد علي الدراويش، النظم القرآني في سورة البقرة، رسالة ماجستير، 1986م، الجامعة الردنية، ص90.

عن حال المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾[1]. إذ حذف سبحانه وتعالى المسند إليه، وفائدة هذا الحذف هو التحقير، إذا جاء تركيب الجملة على طريقة التشبيه البليغ الذي فيه تعريض بالمنافقين، وتحقير لشأنهم.

وقد يدخل التشبيه على لفظ وهو محذوف لامتناع ذلك، لأنه بسبب المحذوف كقوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ﴾[2].

فإن التقدير: ومثل واعظ الذين كفروا، فالمشبه الواعظ، والمقصود تشبيه حال الواعظ منهم بالناعق للأغنام، وهي لا تفهم معنى دعائه وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه، وإنما وقع التشبيه على الغنم التي ينعق بها الراعي، وفيه وجوه[3].

أولاً: أضاف المثل إلى الناعق، وهو في المعنى للمنعوق به، لأن المعنى: مثل الذين كفروا كمثل الغنم لا تفهم نداء الناعق.

ثانياً: ومثل الذين كفروا ومثلنا ومثلك، كمثل الذي ينعق، أي مثلهم في الإعراض ومثلنا في الدعاء والإرشاد.

ثالثاً: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام- وهي لا تعقل ولا تسمع كمثل الذي ينعق بما لا يسمع.

ومنه: قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4]. فحذف المشبه على تقدير: مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح، أي كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم أصابته ريح فيها صرٌّ فأهلكته[5].

وأما قوله تعالى:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[6].فإن التقدير: كما يحب المؤمنين الله، وحذف الفاعل، لأنه غير ملتبس.

---

(1) البقرة: 18.

(2) البقرة: 171.

(3) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ج3، ص486-487.

(4) آل عمران: 117.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص487.

(6) البقرة: 165.

ويحذف المضاف كثيراً في القرآن الكريم، لأغراض شتى تفهم من هذا الحذف، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

وفي الكلام حذف مضاف تقديره: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في الأرض حبة، ثم نبتت الحبة سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة[2]. فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر فيعطيه الله بكل صدقة له سبعاً ولعل السرّ في هذا الحذف، هو اتجاه القرآن الكريم إلى الصدقة نفسها، والجزاء عليها هذا الجزاء المضاعف.

كما يحذف المضاف في أسلوب التشبيه، يقول تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾[3]. فحذف المضاف، وسدّ مسدّه المضاف إليه، وتقديره (كذي ظلمات) ويدل على الحذف قوله تعالى: ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[4]. والضمير المضاف إلى "يده" يعود على المضاف المحذوف وقد حذف لتتوفر العناية إلى المشبه به إذ هو الغرض المسوق له الكلام[5].

ومن حذف المضاف قوله تعالى:﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾[6]. فالمضاف محذوف والتقدير: أو كأصحاب صيّب ودليل الحذف قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ

(1) البقرة: 261.

(2) القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصححه هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، 2003م، ج3، ص303.

(3) النور: 40.

(4) النور: 40.

(5) مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، ص73.

(6) البقرة: 19.

﴿فِي آذَانِهِمْ﴾[1]. فيجعلون في موضع الجرّ وصف لأصحاب وحيث لا لبس فقد حذف اختصاراً لما في الكلام من بسط[2].

كما يحذف الجار والمجرور في جملة "المشبه"، مثل قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾[3]. وقوله:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾[4]. والتقدير في ذلك كله: كفروا بالله وكفروا بربهم.

والحذف في الآيتين الكريمتين للتعظيم وليتناول الكفر كلّ متناول فالكافر بالله كافر بالآيات الدالة عليه كافر بالأدلة كافر بما في نفسه من دلائل القدرة الباهرة[5].

وتحذف "واو" العطف في القرآن الكريم، وخاصة "الواو" في جملة "المشبه به" وذلك في مثل قوله تعالى:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾[6]. فالتقدير: صم وبكم وعمي بدليل مجيء الواو في قوله تعالى:﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[7]. وحذف الواو هنا يشير إلى تلازم هذه الصفات حتى لكأنها شيء واحد أحاط بحواسهم فهم لا يسمعون لا يتكلمون لا يبصرون. فإذا كان الذكر هو الأصل فإن الحذف إنما يكون لغرض بلاغي في أسلوب التشبيه، والغرض البلاغي للحذف في الآية السابقة هو: صياغة اللسان عنه تحقيراً له.

ويدخل تحت باب الحذف في القرآن الكريم-وخاصة التشبيه- ما حُذِف في آية واثبت في أخرى، لأنه يكون ما حذف منه محمولاً على المذكور، كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[8]. فالآية قيدت بالتشبيه في موضع آخر، كقوله:﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ

---

(1) البقرة: 19.

(2) الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص69.

(3) النور: 39.

(4) البقرة: 171.

(5) الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص96.

(6) البقرة: 18، 171.

(7) الأنعام: 39.

(8) آل عمران: 133.

لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1].

2.2.4 الإستفهام الإنكاري:

الاستفهام الإنكاري: وهو الذي يسأل به عن شيء لا يمكن أن يحصل، أو هو مستبعد الحصول. وهذا النوع يتضمن معنى النفي. والقصد من الإنكار توكيد عدم حصول الشيء أو التنفير منه إن كان مما يستبعد حصوله. ومن أمثلته ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[2]. وتنضوي فاعلية التشبيه تحت الاستفهام الإنكاري وتقرب الصورة بين طرفيها إلى درجة الإلصاق عن طريق الهمزة في (أفمن) ثم يتبعها تفصيل لحالة الطرف الثاني الذي دلت عليه (من) ثم تتبعها مباشرة لفظة (كمن) التي تتكون من أداة التشبيه (الكاف) مقترنة ب(من) الطرف الأول (من يخلق) ونفته عن الطرف الثاني (لا يخلق) والخطاب في هذا موجه إلى المشركين. فهي تنال درجة عالية من التكثيف والايحاء، فهذا التشبيه يثير فاعلية التفكير. إذاً "فالاستفهام عن المساواة إنكاري أي لا يستوي من يخلق بمن لا يخلق، والكاف للمماثلة وهي مورد الإنكار حيث جعلوا الأصنام آلهة شريكة لله تعالى"[3].

ومن هذا النوع على سبيل التمثيل لا الحصر، قوله تعالى:﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾[4]. والاستفهام الذي تصدّر هذه الآية يحمل طابع الإنكار المصحوب بالاستهزاء، كما نجد عدم التشابه بين: الإيمان والكفر لدى عقلاء الناس، ولكن تتساوى حالة الطرفين عند غير الفقراء منهم والذي دل على وجود هذه المشابهة أداة التشبيه (الكاف) التي توسطت هذين الطرفين المتقابلين. والاستفهام في هذه الآية غير موجه إلى نفي التشبيه، بل هو موجه إلى نفي وجوه عناصر المشابهة بين الطرفين. فالاستفهام هنا "تستعمل في إنكار المساواة بين المؤمن والكافر، وهو

---

(1) الحديد: 21.

(2) النحل: 17.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص103.

(4) السجدة: 18.

إنكار بتنزيل السامع منزلة المتعجب من بين جزاء الفريقين في ذلك اليوم. فكان الإنكار موجه إلى ذلك التعجب في معنى الاستئناف البياني ... وجملة (لا يستوون) أعطت بيان من المقصود من الاستفهام"(1).

ونفس الملاحظات يمكن توجيهها إلى قوله تعالى:﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾(2). فالطرف الأول في هذه الآية هو الذي اتبع (رضوان الله) والطرف الثاني: فهو من (باء بسخط من الله) وذلك على طريق الاستفهام على الرغم من وجود أداة التشبيه (الكاف)، لأن الهمزة في (أفمن) هي (للإنكار) حيث جعلت المعنى يختلف داخل السياق النصي للآية، ولهذا فإن دخول الهمزة قد أفاد: "إنكار المماثلة المستفادة من كاف التشبيه فهو بمعنى لا يستوون"(3).

ويظهر الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى:﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾(4). يقول الزمخشري:"معنى الاستفهام فيها للإنكار، والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحول من أصلح وأفسد، واتقى وفجر، ومن سوّى بينهم كان سفيهاً، ولم يكن حكيماً"(5).

3.2.4 بلاغة العطف في التشبيه:

إن القضية التي سيطرت على تفكير النحاة في باب العطف، تتصل بفكرة التشريك في الحكم التي أصروا على القول بها حين تتوسط بين المعطوف والمعطوف عليه حروف عطف معينة هي: الواو، والفاء، وثُمَّ، وأم وحتى، وأوْ، فأما الحروف التي لا تفيد التشريك في الحكم، وإنما تفيد التشريك في اللفظ، فهي: بل، ولا، ولكن، ولهذا أكدّ النحويون وكثير من المفسرين، على أن يكون أساس مباحث العطف قائماً على مسألة التشريك في الحكم التي تتصل بمنطق الإسناد، كما لم

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص231.

(2) آل عمران: 126.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص158.

(4) ص: 28.

(5) الزمخشري، الكشاف، ج3، ص372.

فالغرض من هذا التمثيل تمثيل حالة مغايرة للحالة التي مُثِّلت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ بنوع إطلاق وتقييد"(1).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾ (2).

شأن (أو) إذا جاءت في عطف التشبيهات على قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ (3) فالحالة المشبهة في هذه الآية مركبة من محسوس ومعقول والحالة المشبه بها محسوسة، أي داخلة تحت إدراك الحواس.

"وإن كان الكلام جارياً على التخيير في التشبيه مع اختلاف وجه التشبيه كان المعنى تمثيل حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها وهم غير مؤمنين بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقاً. فوجه الشبه هو ما حُفَّ بأعمالهم من ضلال الكفر الحائل دون حصول مبتغاهم. وعلى الوجهين فقوله "كظلمات" عطف على "كسراب، والتقدير والذين كفروا أعمالهم كظلمات"(4).

وهذا التمثيل من قبيل تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة.

ومن شواهد العطف في التشبيه في الكتاب المبين قوله تعالى في وصف الكافرين الذين خسروا أنفسهم، ووصف المؤمنين الذين عملوا الصالحات: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ (5) فقد شبه القرآن العظيم الكافرين الذين تعاموا عن الهدى والرشاد بحال من جمع بين العمى والصمم حقيقة، وشبه حال المؤمنين الذين أفادوا من أبصارهم بحال من جمع بين البصر والسمع حقيقة، في وصول الحق والهدى والرشاد إلى النفس بسهولة في كل الأحوال.

ولهذا يكون العطف في المشبه به من عطف صفتين على صفتين في مقابلة صفتين معتبرتين في كل فريق في جانب المشبه، وتكون الواو بين كل صفتين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص316.

(2) النور: 45.

(3) النور: 39.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص225.

(5) هود: 24.

متضمنة معنى "مع" إلى جانب كونها للعطف؛ لأن معنى العطف بها لا يمنع من تضمنها معنى "مع" في السياقات، وتكون الواو بين جموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخريين للعطف فقط، وبذا يكون التشبيه من قبيل التشبيه المركب المتعدد الملفوف(1).

ومما ورد من التشبيه المعطوف في القرآن الكريم قوله في بيان سبب حل اجتماع الرجل مع زوجه في ليلة الصيام ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(2).

فنلاحظ في هذين التشبيهين حسن اللفظ والمعنى، ويضاف إلى ذلك ما هو أهم من حسن النظم وعلاقاته، ودقة التصوير ومعطياته، وهذا فرق جليل بين النظم البشري والنظم القرآني في مثل هذا اللون من التشبيه.

ومن خلال العطف تظهر لنا حكمة ربانية، وهي أن الذكر والأنثى لا يستغني عن الآخر في بيان شدة احتياج كل واحد من الزوجين للآخر.

هذا جانب من أساليب العطف من التشبيه في القرآن الكريم، عرضت له على أساس من فكرة تراسل ماهيات المعاني بين المتعاطفات وهي فكرة جديدة تدعو إلى العناية، ومن دقائق هذا التشبيه انتزاع المشبه به من البيئة التي يعيش فيها العرب.

4.2.4 إيقاع التشبيه:

يقوم المفهوم الإيقاعي للتشبيه على توفير الائتلاف والانسجام بين الأشياء المختلفة، وإبراز العلاقات الإيقاعية المختفية وراء التعدد والتباين، وبالتالي فإنه سوف يتحقق التلاؤم الدلالي والانسجام بين الأطراف، حتى تكون النسب صحيحة ومقبولة.

"وقد أدرك الجرجاني ما في التشبيه من علاقة قوية تقوم على الموازنة والتناظر بين الطرفين، فقد وقف عند إيقاع الحركة الظاهرية في التشبيه، إلاّ أن تذوقه جماليات هذه الحركة كان قائماً على المنطق والعقل"(3).

---

(1) عبد الحميد العيسوي، بيان التشبيه، ص/299-300.

(2) البقرة: 187.

(3) ابتسام حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، ط1، 1997، ص247.

ويقوم الإيقاع البلاغي في التشبيه على مبادئ إيقاعية وفق علاقة محددة هي علاقة (المقارنة) وهذه العلاقة قد تؤدي إلى تضييق أفق الحركة الإيقاعية للمعنى، وجعلها حركة بدائية سطحية، وبالتالي تحرمها من الحيوية والنشاط والثراء الإيقاعي.

وعلى هذا فإن علاقة (المقارنة) تقوم على بناء ثنائي ينقسم بين طرفين مختلفين متقابلين يشتركان في صفة أو أكثر، مما يجعل هذه العلاقة تحمل بين طياتها شكل الحركة الرتيبة التي تتوازن وفقها عناصر التشبيه، ويقوم فيها نوع من التقابل الدلالي، فإذا ما تحقق نوع من الانسجام، كان انسجاماً بسيطاً يقتصر على أن كل طرف يستدعي الطرف المقابل له في تركيب المشابهة فيقترن الطرفان في وحدة خيالية يجعلها في متناول الذوق البلاغي(1).

وتظهر ملامح الإيقاع البلاغي في التشبيه القرآني من خلال اختيار الألفاظ التي تتجه بالخطاب إلى سكان الأرض، الذين يهمهم أمرها ليتعرفوا على ما فيها، ويتطلعوا إلى كشف أسرارها علمياً، بحسب الذوق البلاغي الفطري. وليس بعجيب أن تكثر صور "المقارنة" في كتاب الله، يقول تعالى: ﴿**الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ، يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**﴾(2) فقد كان الموقف المعروض هنا موقف هول مادي يبدو الناس في ظله ضئالاً على كثرتهم، فهم "كالفراش المبثوث" مستخفون، وتبدو الجبال الثابتة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح. فمن تناسق العرض، أن تسمي القيامة بالقارعة، ليتّسق الظل الذي يلقيه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع منظر الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش(3).

وتظهر روعة الأسلوب القرآني من خلال الانسجام بين الإيقاع الصوتي والموقف الذي سيق من أجله، يقول تعالى: ﴿**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً**

---

(1) المصدر نفسه، ص248.

(2) القارعة: 1-5.

(3) صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، مكتبة لبنان، ط1، 1995، ص137.

أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ، مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾(1).

فالتالي لهذه الآيات يلاحظ قوة الإيقاع الصوتي، وهو إيقاع متقارب سريع، ومع سرعته شاخص متحرك، مكتمل السمات والحركات، فهذه جموع خارجه من الأجداث في لحظة واحدة كأنّها جراد منتشر، وهذه الجموع تُسرع في سيرها نحو الداعي دون أن تعرف لِمَ يدعوها، فهو يدعو (إلى شيء نكر). وفي أثناء هذا التجمُّع والخشوع والإسراع ذلك اليوم، الذي يتجلى فيه الهول الحي، يؤثر في نفس كل حي(2).

هذه بعض من النماذج للإيقاع الصوتي في القرآن، نلاحظ فيها التناسق التام بين مفردات التشبيه وبين مفردات المشهد بالإيقاع الذي يتمشّى مع الجو العام. وبالتالي يلتقي جمال التعبير بجمال التشبيه في تحقيق الإيقاعات الصوتية القرآنية.

وهكذا يتجلىّ دور كل من التنظيم، والخيال، والعبارة الموسيقية كعناصر أساسية للتشبيه، يقول تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(3) فجاء هذا التشبيه أروع من أسلوب البشر، فالعرجون القديم اقدر على تصوير القمر كما تراه العين، وتحس به النفس.

5.2.4 المبالغة في التشبيه:

المبالغة: "هي أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله وأقرب مراتبه"(4). وهي أن يكون للشيء صفة ثابتة؛ فتزيد في التعريف بمقدار شدته أو ضعفه، فيدّعي له من الزيادة في تلك الصفة ما يستبعد عند السماع(5).

---

(1) القارعة: 1-3.

(2) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص86.

(3) يس: 39.

(4) العسكري، الصناعتين، ص403.

(5) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص57.

وتدخل المبالغة في الوصف بطريق التشبيه، ومن أحسنها، أن يُشْفَع ما يفهم المعنى بالمعنى على وجه يقتضي زيادة؛ فترادف الصفات بقصد التهويل، كما في قوله تعالى: ﴿فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾(1).

وكقوله تعالى في المبالغة في الوصف بطريق التشبيه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾(2).

فالتشبيه من تشبيه الجمع بالجمع من غير احتياج للتأويل بما مر إلا أن التهويل على القول الأخير دونه على غيره، والتشبيه بالجمال في الكثرة والتتابع وسرعة الحركة أيضاً(3).

ومن الآيات التي تفيد المبالغة في التشبيه، قوله تعالى: ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ وفي ذكره دون ذكر الطول مبالغة، وزاد في المبالغة حذف أداة التشبيه. وتقدير المضاف، فليس المقصود تحديد عرضها حتى يمتنع كونها في السماء بل الكلام كناية عن غاية السعة بما هو في تصور السامعين، والعرب كثيراً ما تصف الشيء بالعرض إذا أرادوا وصفه بالسعة(4).

وتظهر المبالغة في التشبيه، عندما يقلب التشبيه، ويجعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً في التشبيه في حالة الإثبات، أي: جعل المشبه مشبهاً به والمشبّه به مشبّهاً: كقوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ والأصل أن يقولوا: إنما الربا مثل البيع، لأنّ الكلام في الرّبا لا في البيع. ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾(5) فإن الظاهر العكس؛ لأن الخطاب لعبدة الأوثان الذين سمّوها آلهةً، تشبيهاً بالله سبحانه وتعالى، فجعلوا غير الخالق مثل الخالقِ، فخولف في خطابهم؛ لأنّهم

---

(1) النور: 40.

(2) المرسلات، 32-33.

(3) ابن عاشور، روح المعاني، ج29، ص272-273.

(4) الألوسي: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص56.

(5) النحل: 17.

بالغوا في عبادتهم حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، فجاء الرد على وفق ذلك"(1).

وقوله تعالى: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾(2)، يقول العسكري: "لو قال يحسبه الرائي لكان جيداً .. ولكن لما أراد المبالغة ذكر الظمآن لأن حاجته إلى الماء أشد، وهو على الماء أحرص"(3).

6.2.4 تكرار التشبيه:

"**التكرار:** هو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد، والمعنى واحد، فإذا لم يتوفر هذان الشرطان، أي إذا لم يكن المعاد اللفظ نفسه، أو إذا ذكر اللفظ أكثر من مرة ولكن لكل موضع سياقه الخاص ومعناه الخاص؛ فإن ذلك لا يسميه تكراراً أبداً. هذا هو التعريف الدقيق للتكرار كما يظهر لنا"(4).

للتكرار وظائف عديدة في الإبداع العربي القديم، نستطيع أن نحصرها على الفوائد التالية: أولها محاكاة الامتداد اللانهائي للكون، وتعميق الشعور بالمدى المطلق الذي نعيش فيه بوصفنا بعض عناصره المتكررة. ويؤدي التكرار وظيفة مناقضة في معناها للوظيفة السابقة تماماً، خصوصاً حين يقترن بالرتابة التي تخلق حالاً من الملل، وتفرض شعوراً من السأم من تعاقب وحدات الموضوع المدرك وتتابع عناصره إلى ما لا نهاية. وبهذا لا يمكن للتكرار أن يتسم بصفة جمالية إذا كان تكراراً لا نهائياً من الوحدات التي تفرض. ويمكن أن يؤدي التكرار وظيفة ثالثة، وهي وظيفة تأكيد الدلالة وإبراز المقصود، ويحدث ذلك حين يؤدي التكرار دوره في إبطاء إيقاع لقائنا بالدلالات، وإطالة وقوفنا عند الدلالة المراد إبرازها(5).

---

(1) السيوطي، جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: عصام فارس، المجلد الثالث، دار الجيل، بيروت، ط1، 1998، ص107.

(2) النور: 39.

(3) الصناعتين: ص/403-404.

(4) فضل حسن عباس: القصص القرآني إيمائه ونفحاته، دار الفرقان، عمان. ط1، 1987، ص19-20.

(5) جابر عصفور، تكرار التشبيه، مجلة العربي، العدد/ 507، 2001م.

واستخدام التشبيه في البلاغة العربية بعامة، وبلاغة القرآن بخاصة، ينطوي على هذه الوظائف، ويضيف إليها ما يقرن التأكيد والاستقصاء بإظهار براعة الإعجاز القرآني، ولكننا نلفت النظر إلى ظاهرة عجيبة في هذا النمط البياني المعجز، حين نرى كتاب الله يكرر التشبيه في سورتين متباعدتين، ويأتي في كل تشبيه بمجموعة من الملامح الداخلية، ما يظهر جديتها الواضحة رغم اتحاد الإطار العام، وتلك عجبة نادرة؛ لأن بلغاء البشر يكررون صورهم الأدبية، فلا يأتون للقارئ بجديد، إذ يستغني بالبعض عن البعض فيما يقرأ، وبالتالي تظهر الرتابة التي ترهق الجهاز العصبي، أما كتاب الله فيكرر أسلوب التشبيه، مما يفسح مجال التأمل لدى القارئ البصير، ولنا أن نستدل على ذلك بهاتين الآيتين الكريمتين[1]:

أولاً: قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[2].

ثانياً: وقال الله تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

المتأمل الإطار الخارجي في الصورتين، يلاحظ أنه متفق، حتى ليظن المتعجل أنهما متماثلتان، ولكن الدارس المتأمل يرى فروقاً مختلفة توحي بالجدة، وتمنع التماثل، فالتشبيه في الصورة الأولى، يصف الدنيا واللعب والزينة، وتنص على أنها موضع المباهاة بالأموال والتكاثر بالأولاد، والتشبيه في الصورة الثانية يصورازدهار الحياة حين ينزل الماء من السماء فيختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، وصورة ازدهار الأرض بحضارتها وترفعها وقصورها ومائها التي

---

(1) محمد، رجب البيومي، البيان القرآني، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1971، ص78.

(2) الحديد: 20.

(3) يونس: 24.

يبسطها امتداد القول في الصورة الثانية وهي تصوير بهجة الحياة، فقد امتد بعض الشيء في بيان العاقبة. وقد اتسع المجال للعظة البالغة في ختام الصورة الأولى والصورة الثانية، فقد جعلت العظة نفسية يوحي بها السياق القرآني[1].

فالإطار الخارجي فيما يتضمن المعنى العام نلمس رغم هذا الاتفاق فروقاً طريفة في اتجاه المعنى وتلوين الصورة، فتشعر بالجدة الطريفة في كل ما نقرأ من آيات الكتاب، ولن يظن أننا نوازن بين نصين، فكتاب الله قد اكتسب علواً في إعجازه البياني يمنع الموازنة من الأساس إنما هو تحليل كاشف لنمط من التصوير الأدبي تلتقي أصباغه البيانية وتختلف.

فالتكرار في القرآن المجيد أنواع كثيرة، كلها تشهد بعظمة الخالق سبحانه وتعترف بإعجاز كتابه المبين. وإن أسرار التكرار في القرآن كثيرة ومتعددة يصعب الاحاطة بها في هذا المجال، وهي بحاجة إلى إفراد دراسات مستقلة تبين روعة الإعجاز البياني في كتابه المبين.

ومن هذه الأمثلة في القرآن كثيرة، فمن الصعوبة أن نعثر في القرآن الكريم كلّه على معنى يتكرر في أسلوب واحد من اللفظ، وخاصة في التشبيه، ولكنه يدور ضمن قالب واحد من التعبير بل لا بد أن نجده في كل مرة يلبس ثوباً جديداً من الأسلوب وطريقة التصوير والعرض.

وقد نجد في بعض العبارات تكراراً لأداة التشبيه، وذلك إذا كان المقام يقتضي هذا التكرار، بأن يكون المشبه متعدد الجوانب متداخل الأوصاف فنذكر المشبه، ثم نذكر الأوصاف واحداً بعد الآخر على سبيل التشبيه سواء بأداة التشبيه أو بدونها[2].

وقد ورد تكرار الأداة في القرآن الكريم كقوله عزّ وجلّ في وصف جهنم: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ،كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾[3]. فالتشبيه أكد في صفة الموصوف وذلك لأن إسقاط حرف العطف يدل على شدة التصاق الصفات بالموصوف.

---

(1) محمد البيومي، البيان القرآني، ص/100.

(2) عبد القادر حسين، القرآن والصورة البيانية، دار المنار، القاهرة، ط1، 1991م، ص76.

(3) المرسلات: 32-33.

ومن تكرار الأداة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾(1).

أي يخاطب المؤمن من آل فرعون قومه واعظاً لهم، مخوفاً من سوء المصير في تكذيب موسى- عليه السلام- وأن يكون شأنهم في العقاب شأن أيام الأمم الماضية الذين كذبوا رسلهم وآذاهم. فكرر أداة التشبيه وهي (مثل) مرة على سبيل الإجمال وأخرى على سبيل التفضيل(2).

ولا يخفى على أحد أن تكرار أداة التشبيه في القرآن هي آية من آيات إعجازه الكبرى، ولها فوائد جمّة تشهد بروعة البيان الآلهي.

ويمكن أن نلحظ أيضاً تكراراً يتصل بالدلالة في "تشابه الأطراف"(3). وظهر هذا النوع في الشعر والنثر، وتتمثل هذه التكرارية في إعادة الشاعر لفظ القافية في أول البيت التالي لها، أو أن يعيد الناشر القرينة الأولى في أول القرينة التي تليها، وهذا اللون في تشبيه القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾(4).

ويلحظ أهمية هذا اللون من التكرار في تلاحم الدلالة واتصالها بين مفردات التشبيه في الآيات، فهي تلاقي حسن توقع في السمع والطبع.

7.2.4 التشبيه المصدري:

وهو أن يشبه الفعل بمصدره المضاف، وقد عدّه ابن الأثير "أحسن ما استعمل في باب التشبيه"(5). وذلك لأن المشابهة تقوى من جهتي اللفظ والمعنى، ومن جهة الصوت يشكل هذا النوع من التشبيه موسيقى قوية متتابعة، حتى كأن الثانية صدى للأولى، ولا سيما أن المصدر يتبع فعله مباشرة.

---

(1) غافر: 30-31.

(2) وينظر: الحشر: 15-16، لقمان: 7.

(3) البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص223.

(4) النور: 35.

(5) ابن اثير، المثل السائر، ج2، 125.

وقد استعمل هذا التشبيه في القرآن ليولد دلالتين بارزتين، هما القوة والسرعة، ليكون تأثير التشبيه أقوى وأسرع.

أما دلالة (القوة) فكثرت في التشبيه لتصوير قوة الفعل، وللتهديد به ضمن الآيات التي صور فيها التشبيه المصدري قوة الفعل قوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[1]، أي طياً مثل طي الصحيفة على ما كتب فيها، فالتشبيه هو مرسل مفصل لأداة ذكرت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه.

ومن الآيات التي أدى فيها التشبيه المصدري وظيفة التهديد ما جاء في قوله تعالى: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾[2]. إذ ذكرت الأداة، وحذف وجه الشبه وهو عدم الاستئذان أو رفع الصوت.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ،كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ، كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[3].والتهديد يظهر من خلال وجه الشبه في شدة الغليان، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[4]. ففي هذه الآية لم يذكر وجه الشبه وهو رفع الصوت، وهذا تهديد للذين يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي.

أما دلالة (السرعة) فقد كانت تشير إلى تتابع الفعل تتابعاً سريعاً، ففي الآية الكريمة: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[5]. ووجه الشبه (السير بسرعة) محذوفان.

وقوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾[6]. ووجه الشبه (شخوص البصر) محذوفان، دلالة على السرعة في الفعل وقد جيء بدلالة (السرعة) كثيراً لتصوير سرعة الفعل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[7].

---

(1) الأنبياء: 104.

(2) النور: 63.

(3) الدخان: 43-46.

(4) الحجرات: 2.

(5) النمل: 88.

(6) محمد: 20.

(7) القمر: 50.

الخاتمة :-

حاولت في هذا البحث أن أدرس "التشبيه في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية" حيث إن التشبيه شدَّ انتباه الأدباء والنقاد قديماً وحديثاً، ولهذا فإن طرق مثل هذا العنوان، يعد نوعاً مغايراً لما ألفناه من العناوين التي تناولت التشبيه بالبحث والدراسة، وهذا ما حاولت توضيحه من خلال فصول هذه الدراسة. وقد اعتمدت في التوصل إلى المعاني والأفكار المبثوثة في موضوع البحث على آيات القرآن الكريم، حيث قمت بإحصاء دقيق لما وردت من تشبيهات مختلفة لأقسام ومضامين التشبيه. وأماّ أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي:

1- يتضح من خلال العرض اللغوي لمفهوم التشبيه، أن التشبيه والتمثيل بمعنى واحد، وهما يعنيان تقارب بين شيئين في صفة واحدة أو أكثر.

2- لقد أسهم اهتمام اللغويين والنحويين والبلاغيين والنقاد بالتشبيه في تشكيل الذوق الأدبي، وبذر بذور الإعجاب المتواتر بالتشبيه.

3- لقد اختلفت جهات تناوله عند البلاغيين والنقاد بل وعلماء اللغة أيضاً. فمنهم من اهتم بذكر الحدود والأقسام، ومنهم من نظر إليه من جهة قرب وجه الشبه أو بعده، ومنهم من حاول أن يكشف ما وراءه من بعد نفسي ومنهم من حاول تلمس وجه الجمال في بعض صوره.

4- إن الناظر إلى التشبيهات القرآنية، يجد نفسه أمام أربعة أقسام من التشبيه وهي: ما كان طرفاه حسيين، وما كان طرفاه عقلياً أو حسيا، وما كان طرفاه حسياً وعقلياً، وما كان طرفاه علقليّن.

5- إن موضوع التشبيه يحتمل عدة تقسيمات رئيسة هي باعتبار الطرفين، وباعتبار الأداة، وباعتبار وجه الشبه، وإن هذه التقسيمات يتفرّع عنها تقسيمات أخرى.

6- ليس كل تشبيه يستقيم فيه حذف الأداة ووجه الشبه، فليس حذفهما أبلغ من ذكرهما، وإنما البلاغة في دقة التعبير، وإصابة الغرض.

7- تمتاز التشبيهات القرآنية بالدقة والتحديد، فتراه يصف، ويقيّد، على الفكرة؛ لغرض توضيحها حتى تصبح دقيقة واضحة، مؤثرة في العواطف.

8- إن التشبيه عنصر أساسي في الجملة، وليس إضافياً، فإذا أسقط التشبيه من الجملة والأسلوب انهار المعنى من أساسه.

9- وجدت أن الغرض الديني هو السمة الظاهرة في جميع التشبيهات، ولذالك نجد في تشبيهاته ما يوجه المؤمنين ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وفلاحهم وما يبين صفات الكافرين، ومواصفات المنافقين والآثار التي تترتب على معتقدات وأعمال هؤلاء في الدنيا والآخرة.

10- إن تشبيه النماذج الإنسانية في القرآن الكريم يحتل المركز الأول من مساحة مضامين التشبيه بالقرآن عامة، لذلك يصنف القرآن الكريم الناس بحسب قبولهم للهدى أو إعراضهم عن ذكر الله وإيثارهم للكفر والشرك على الإيمان.

11- إن القرآن الكريم استمد عناصر تشبيهاته من الطبيعة سواء أكانت حيواناً، أم نباتاً، أم جماداً، فنجد في السراب ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعاً، ونجد كذلك فيه صورة قوية توضح أعمال الكفرة، وذلك هو سر خلوده فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة وسر عمومه للناس جميعاً يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم.

12- هناك قيم أسلوبية تبرز واضحة من التشبيه في القرآن الكريم، وهذه القيم تمنح الأسلوب الأدبي جمالاً ونبضاً وقوة.

13- جاء أسلوب الحذف في القرآن الكريم، وخاصة في أسلوب التشبيه، لغايات بلاغية تعرف من السياق، وتدرك بالذوق البلاغي.

14- القصد من الاستفهام الإنكاري هو توكيد عدم حصول الشيء أو التنفير منه إن كان مما يستبعد حصوله.

15- إن من دقائق أساليب العطف في التشبيه في القرآن الكريم، هو انتزاع المشبه به من البيئة التي يعيش فيها العربي.

وأخيراً، يمكن القول: إن هذا البحث وما طرقه من قضايا يمكن أن يكون بمثابة حافز لدراسات أخرى متطورة في المجال التطبيقي في القرآن الكريم، وذلك تكملة لما توصلت إليه الدراسات السابقة، آملاً المعذرة في تقصيري راجياً من الله التوفيق، والسداد والثواب الجزيل، وأن ينفع به الدارسين إنه على ما يشاء قدير.

المراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، ت: 637هـ.(1998)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، حققه الشيخ كامل محمد عويضة، الجزء الأول، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1.

ابن جعفر، قدامة، (1963)، **نقد الشعر**، تحقيق كمال مصطفى، ، مكتبة الخانجي، مصر .

ابن جني، أبو الفتح عثمان،(د . ت) ، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ج1.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله، (1954)، البديع، شرحه وعلّق عليه، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة البابي ، مصر .

ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، (1988)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1.

ابن سنان، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي، (1952)، **سرّ الفصاحة**، صححه وعلّق عليه عبد المتعال الصعيدي، ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، مصر.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر.

ابن طباطبا، محمد أحمد، (1982)، **عيار الشعر**، ، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

ابن فارس، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1990م)، **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون، الجزء الثالث.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، (1963)،ا **لصاحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** ، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة: بدر للطباعة والنشر، بيروت.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (1981)، **تأويل مشكل القرآن**، شرحه السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3.

ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، (1968)، دار بيروت للطباعة والنشر.

ابن ناقيا، عبد الله البغدادي، (د. ت) ، **الجمان في تشبيهات القرآن**.

أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، (د. ت) ،**الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، القاهرة، دار الطباعة.

أبو حمدة، محمد علي، (1983)، **من أساليب البيان في القرآن الكريم**، ، مكتبة الرسالة، عمّان، ط2.

أبو سعيد، محمد عبد الحميد، (2003)، **دور المصدر في علم البيان**، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الخامس والعشرون ، ص 76-79 .

أبو العدوس، يوسف، (2004)، **البلاغة العربية**، المكتبة الوطنية.

أبو شادي، مصطفى عبد السلام، (د . ت) ، **الحذف البلاغي في القرآن الكريم**، مكتبة القرآن للطبع والنشر - القاهرة.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، (1962) ، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمود فؤاد سزكين، الناشر: محمد سامي الخانجي، مصر، ط1، الجزء الثاني.

ألما سليمان المحمد، (1995)، **الصورة الفنية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة ، جامعة دمشق.

الأطرقجي، واجدة مجيد، (1987)، **التشبيهات القرآنية والبيئة العربية**، وزارة الثقافة والفنون، العراق.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود الألولسيي البغدادي، (د . ت) ، **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

أمين، بكري شيخ، (1984)، **البلاغة العربية في ثوبها الجديد**، علم البيان، دار العلم للملايين، ، بيروت، لبنان، ط1.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، (د . ت) ، **إعجاز القرآن**، ط1.

بدوي، أحمد، (1950)، **من بلاغة القــرآن الكــريم**، مكتبــة نهضــة مصــر ومطبعتها، ، ط3.

بلخضر، أحمد لزهري، (1992)، **التشبيه صورة وألفاظه في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، غير منشورة ، الجزائر.

البلبيسي، هناء حسين، (2001)، **صورة الإنسان المؤمن فــي تشــبيهات القــرآن**، رسالة ماجستير، غير منشورة ، جامعة القدس.

البيومي، محمد رجب، (1971)، **البيان القرآني**، دار النصر للطباعة، القاهرة.

الجاحظ، عمرو بن بحر ، (1938)،**الحيوان**، ، تحقيق عبــد الســلام هــارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط1.

الجربي، محمد رمضان، (2000)، **البلاغة التطبيقية**، دراســة تحليليــة لعلــم البيان، منشورات ELGA-مالطا.

الجرجاني، عبد القاهر، (1979)، **أسرار البلاغة**، تحقيق ريتر، استنابول، ط2.

حسين، عبد القادر، (1982)، **المختصر فــي تــاريخ البلاغــة العربيــة**، دار الشروق، بيروت، ط1.

حسين، عبد القادر، (1991)، **القرآن والصورة البيانية**، ، دار المنار، القاهرة، ط1.

حسين، عبد القادر، (د. ت) ، **أثر النحاة في البحــث البلاغــي**، دار نهضــة مصر للطباعة والنشر.

حمدان، إبتسام، (1997)، **الأسس الجماليــة للإيقــاع البلاغــي فــي العصــر العباسي**، دار القلم العربي، حلب، ط1.

درويش، أحمد، (1995) ،**دراسة الأسلوب بين المعاصــرة والتــراث**، دار غريب، القاهرة.

الدراويش، حسين أحمد علي، (1986)، **النظم القرآني في سورة البقــرة**، رســالة ماجستير، غير منشورة ، الجامعة الأردنية.

دوب، رابح، (1997)، **البلاغة عند المفسرين حتــى نهايــة القــرن الرابــع الهجري**، دار الفجر للنشر، ط1.

الرازي، فخر الدين الرازي ، (1985)، **نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**، تحقيق إبراهيم السامرائي، محمد بركات أبو علي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.

الرُماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، (د. ت) ، **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، حققها وعلّق عليها، محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط1.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (2001)، **البرهان في علوم القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3.

الزمخشري، محمود بن عمر الزمخشري، (د . ت) **الكشّاف**، ضبطه: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.

السبكي، بهاء الدين، (1342)، **عروس الأفراح** (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة السعادة، مصر، ط2، ج1.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف علي السكاكي، (2000) ، **مفتاح العلوم**، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1.

سليمان، فتح الله، (1990)، **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، الدار الفنية للنشر والتوزيع.

سيبويه، أبو عمرو بن عثمان بن قنبر، (1968)، **الكتاب**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ج1.

السيد، شفيع، (1995)، **التعبير البياني**، رؤية نقدية بلاغية، ، دار الفكر العربي، ط1.

السيوطي، جلال الدين، (1998) ،**الإتقان في علوم القرآن**، ، تحقيق: عصام فارس، المجلد الثالث، دار الجيل، بيروت، ط1.

الشايب ، أحمد ، (د . ت) ، **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، مكتبة النهضة المصرية، ط4.

شحاتة، عبد الله ، (د . ت) **تفسير القرآن الكريم**.

شداد ، عنترة بن شداد ، (1958) ، **الديوان** ، دار بيروت للطباعة والنشر .

شرف، حفني محمد ، (1965)، **الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق**، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر.

الشرقاوي، (1981)، **بلاغة العطف في القرآن الكريم**، دار النهضة العربية، بيروت.

الشعراوي، محمد متولي، (د. ت) **تفسير الشعراوي**، أخبار اليوم، قطاع الثقافة.

الصغير، محمد حسين، (1999)، **أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم**، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1.

الضبيّ ، المفضل ، **المفضّليّات** ، (1964) ، تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، ط3 .

عباس، فضل حسن، (1987)، **البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1.

عباس، فضل حسن ، (1987)، **القصص القرآني**، إيحاؤه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ط1.

عبد الباقي، محمد فؤاد ، (د . ت) ، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مكتبة التراث الإسلامي، بيروت.

عبد التواب، صلاح الدين ، (1995)، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، مكتبة لبنان، ط1.

عبد المطلب، محمد ، (1994)،**البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان الشركة المصرية .

العيسوي ، عبد الحميد ، (1988)، **بيان التشبيه**، دراسة تاريخية فنية، ، ط1. العالمية للنشر، لونجمان، مصر.

العثمان، بدرية بنت محمد بن حسن ،(1417) **من بلاغة القرآن في مجادلة منكري البعث**، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط1.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله ، (1984)، **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، ، تحقيق: مفيد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

عصفور، جابر أحمد ، (د. ت) ، **الصورة في التراث النقدي والبلاغي**، دارا لمعارف، القاهرة.

عصفور، جـابر ، (2001)، **تكـرار التشـبيه**، مجلـة العربـي، العـدد: 507 ، ص 88-89 .

العلوي اليميني، يحيى بن حمزة ، (1914)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغـة وعلوم حقائق الإعجاز** ، منشورات مؤسسة النصر، دار الكتـب الخديويـة، مصر، المجلد الأول، ج1.

علي الجارم ومصطفى أمين ، (د . ت) ، **البلاغة الواضحة**، دار المعـارف، لبنان.

غراهام، هوف، (1985)، **الأسلوب والأسلوبية**، ترجمة كاظم حسين، ، العـدد الأول، دار آفاق عربية بغداد.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، (1955)، **معاني القـرآن**، تحقيـق: أحمـد يوسف نجاتي محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ج1.

فريد، عائشة حسين، (2000)، **البيان في ضوء الأساليب العربيـة**، دار قبـاء للطباعة والنشر.

القاضي عبد الجبار، عماد الدين بن أحمد، (د . ت) ، **تنزيـه القـرآن عـن المطاعن**، دار النهضة الحديثة، بيروت.

القرطبي، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (2003)، **الجامع لأحكام القرآن**، اعتنى به وصححه: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ج3.

القزويني، الخطيب، (د . ت) ، **الإيضاح في علوم البلاغة**، شـرح وتعليـق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

القصاب، وليد، (1985)، **التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القـرن السادس الهجري**، دار الثقافة، قطر-الدوحة.

قليقلة، عبد العزيز، (1987)، **البلاغة الاصـطلاحية**، ، دار الفكـر العربـي، القاهرة.